الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الأنا والآخر في القرآن الكريم

دراسة تحليلية لنماذج

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد حديث ومعاصر

إعداد الطالبين:
بوغفالة حبيب
بوغفالة توفيق

إشراف الدكتور:
بولخراص محمد

أعضاء لجنة المناقشة:

د. بن يمينة رشيد	أستاذ التعليم العالي	جامعة تيارت	رئيسا
د. بولخراص محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة تيارت	مشرفا ومقررا
د. بن مسعود قدور	أستاذ محاضر "ب"	جامعة تيارت	عضوا مناقشا

الموسم الجامعي: *1443 – 1444 ه / 2021 – 2022*

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد النّبي الأمي وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وعلى ذريته وعلى أهل بيته كما صليت على سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين نحمده على أن جعلنا خير أمة أخرجت للناس .

نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل الذي كان نعم الموجه والمشرف ونعم المَورِد وبجميله نعتز، فالأستاذ **بولخراص محمد** حفظه الله، ومن الخيرات والبركات سقاه وبلغه مقصده ومناه، وثني الشكر لجميع الأساتذة والطلاب لجامعة ابن خلدون، وكما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الخالص إلى الذين ساهموا في إخراج هذه الرسالة إلى ساحة اللغة والأدب العربي وإلى كل من أمدَّ يد العون والمساعدة .

توفيق بوغفالة

حبيب بوغفالة

إهداء

إلى والديّ الكريمين

إلى أفراد أسرتي

إلى من أخذ بيدي إلى العلم والمعرفة . . . إلى أساتذتي ومشايخي

إلى كل من يسعى ليبلغ منازل العلم والعلماء

إلى كل من سلك طريقا يبتغي به علما نافعا

أُهدي ثمرة بحثي .

(حبيب بوغفالة)

إهداء

إلى من قال الله فيهم (وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا)سورة العنكبوت، الآية:08، ومن كان دعاؤهما لي سندا ولا نزال لطريقي نبراسا .

إلى التي لم أجد كلمة توفي حقها حفظها الله لي، أمي أمي أمي . . .أطال الله في عمرك .

إلى الذي رباني على الفضيلة والأخلاق، أبي العزيز أطال الله في عمرك ومتعك بالصحة . . .

إلى إخوتي الأعزاء سدد الله خطاهم . . .

إلى كل الأصدقاء والأحباء . . .

(توفيق بوغفالة)

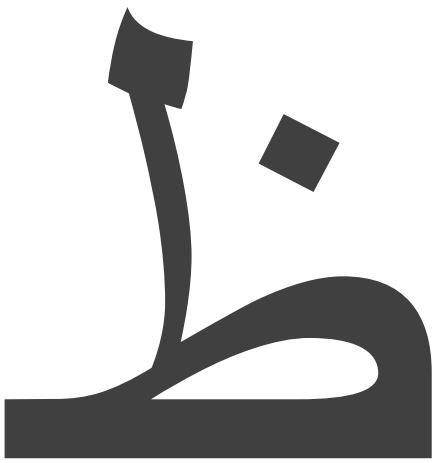

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى وآله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

اهتم القرآن الكريم بثنائية الأنا والآخر، حين راعى فيها كل أنماط التفاعل سلبا وإيجابا، فتتناول الأنا على أضرب مختلفة، كما تناول الآخر ضمن أنساق متنوعة، وربط في مواطن كثيرة بين الأنا والآخر، وحاول الدارسون والمفسرون في حقل الدراسات القرآنية أن يلامسوا بعض أسرار هذه الثنائية، فمنهم من تناولها ضمن نسقها العربي ومنهم من وسع مجالها فجعلها خارج نطاق العروبة فأعطى قراءات شاملة تسع الآخر المختلف عن المسلم دينا ولغة وهوية وثقافة، لأن القرآن الكريم جاء للناس كافة ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم صراطا مستقيما واعتنى حتى بالمعارضين الذين حاولوا تحدي القرآن الكريم ومعارضة نصوصه، حيث فتح لهم مجال البحث في تحدي القرآن الكريم كما قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا۝٨٨﴾ سورة الإسراء،الآية:88، ولما كان موضوع ثنائية الأنا والآخر يسع مجالات ثقافية ولغوية ودينية واجتماعية...فتحنا بابا في هذه الثنائية جعلناه عنوان مذكرتنا عنوناه بـــــ "الأنا والآخر في القرآن الكريم دراسة تحليلية لنماذج من آي القرآن الكريم" ونتج عن هذا جملة من الأسئلة منها:

1- ما هي تمظهرات الأنا والآخر في القرآن الكريم؟

2- كيف تناول القرآن الكريم الأنا منفردا؟ وهل إلغاء الأنا السلبي يفتح مجالا لتوسيع العلاقات الاجتماعية مع الآخرين؟ وهل تفاعل الأنا والآخر في القرآن الكريم يزيد في ضبط العلاقات الكونية بين الإنس والجن وجميع ما يحيط بهما؟

وتتبعنا في ذلك المنهج الوصفي التحليلي لهذه الثنائية ضمن منهجية بحثية أكاديمية فهيأنا هيكلا جاء كما يلي:

مقدمة: جاء فيها تمهيد وذكر المنهج والإشكاليات والخطة والصعوبات والتشكرات وبعض المصادر والمراجع التي عضدت البحث ووسعت مادته.

وجاء **الفصل الأول** معنونا بـــ: الأنا والآخر مفاهيم وتصورات، ومباحثه كما يلي:

مفهوم الأنا والآخر، صور الأنا والآخر، تفاعل الأنا والآخر.

أما **الفصل الثاني** فوسمنا عنوانه بـــ الأنا والآخر في القرآن الكريم آيات منتخبات، ضمن ثلاثة مباحث جاءت كما يلي: الأنا في القرآن الكريم، الآخر في القرآن الكريم، تفاعل الأنا والآخر في القرآن الكريم.

وذيلنا البحث **بخاتمة** فيها خلاصة هذا الموضوع جعلناها نتائج بحث وتركناها مفتوحة بـأسئلة لمن أراد نقد وإعادة رسم معالم هذا الموضوع أو تجديده.

ومما جعلنا نقف عند معالم الموضوع البارزة بعض المصادر منها: الأنا والآخر من منظور قرآني للسيد عمر وتفسير الكشاف للإمام جار الله الزمخشري الخوارزمي وتفسير التحرير والتنوير للشيخ

الطاهر بن عاشور وغيرها...كما واجهتنا صعوبات منها: عدم إثارة الموضوع في مجال الدراسات القرآنية بشكل موسع اللهم إلا إذا كان في الدراسات الأدبية والروائية فإن هذا المجال يتسع فيه، ولا يخلو هذا البحث من السقط والعيوب لأن طارق موضوعَه ذا بضاعة قليلة لو لم تكن المساندة من أطراف كثيرة كان على رأسها مشرف البحث **الأستاذ الدكتور الفاضل محمد بولخراص**، كما لا ننسى كل من ساهم في تتبع سقطات هذا البحث من أساتذة وزملاء نذكر على رأسهم **الأستاذ إبراهيم بوغفالة**، وصدق الشاعر إذ يقول:

بَكى صاحِبِي لَمّا رَأى الدَربَ دونَنَا وَأَيقَنَ أَنّا لاحِقانَ بِقَيصَرا

فَقُلتُ لَهُ: لا تَبكِ عَينَكَ إِنَّما نُحاوِلُ مُلكاً أَو نَموتُ فَنُعذَرا

بوغفالة توفيق وبوغفالة حبيب

تيارت في: 20 شوال/21 ماي 1443ه/2022م

جامعة ابن خلدون تيارت

الفصـــــل الأول

الأنا والآخر المفاهيم والصور

- ✓ المبحث الأول: مفهوم الأنا والآخر
- ✓ المبحث الثاني: صور الأنا والآخر
- ✓ المبحث الثالث: تفاعل الأنا والآخر

توطئة:

بناء حضارة ما مرتبط بجدلية الأنا والآخر، ومدى فهم كلٍ منهما، لأن علاقات الأمم فيما بينها وبين نفسها لا يتأسس تأسيسا سليما ما لم تنظر إلى أعماق ذاتها، ولن يتم لها معنى التحضر ما لم تسع إلى فهم الآخر.

فالحضارات العربية والغربية كلها انطلقت من هذا الفهم وإليه ترجع، وهي الآن تسعى لإعادة برمجة حوار الثقافات والأديان لأن الانطواء على الذات يكبل مساعيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولعل الفهم الإسلامي لهذه الجدلية بسط التفاعل بينهما من حيث الفهم الذاتي للنفس والمجتمع والأمة والشعوب والحضارات، والإسلام أصَّل أصولا لكل طرف فلم يضيق حدود الأنا كما لم يوسعها فلا يخنق الذات ولا يحررها حتى تتصادم مع غيرها وإنما أعطاها مجالا لا تخرج عنه ووضع لها أُسسًا ضمن الشبكة الكونية فحقق لها توازنا وسط سياقات العلاقات الانسانية، فجعل القرآن الضابط لحركات الأنا لعلاقات الانسان مع الله وعلاقته بالإنسان وعلاقته بالجن وعلاقته بما يحيط به من مخلوقات الله، كما فتح مجالا أوسع يتضمن كيفية التعامل مع الآخر ثقافيا وفلسفيا واجتماعيا.

فالمذاهب والتيارات الفكرية والدينية حتى وإن عارضت الإسلام و لم تعترف به فإن الضابط الديني الإسلامي يرى خلاف ذلك ،فيحاور الأديان ويخاطب غير المسلمين ويبتعد عن الإكراه في الدين فيتوسع طولا وعمقا ليؤسس كونية الحضارة الإسلامية وهذا ما جعل الانتشار السريع للرسالة

المحمدية فهي الرسالة التي تدعو إلى المحبة والتعايش الثقافي والإنساني في حين تجذب إليها الأطراف المجاورة لهما في حقل المحبة والإنسانية وبهذه النظرة يحدث التفاعل والتقارب بين الأنا والآخر ،ومباحث هذا الفصل تكشف عن جزئية من جدلية الأنا والآخر من منظور قرآني .

ب. المبحث الأول: مفهوم الأنا والآخر

1) مفهوم الأنا:

1) أ: **لغة: ورد** في لسان العرب أن كلمة أنا إسم مكنى وهو للمتكلم وحده وإنما يبنى على الفتح فرقا بينه وبين أن التي هي حرف نصب للفعل، أما الألف الأخيرة هي لبيان الحركة في الوقف [1].

كما جاء في المعجم الوسيط: أن كلمة أنا ضمير رفع منفصل للمتكلم أو المتكلمة[2].

فالأنا هو وصفٌ للشخص المؤنث أو المذكر على حد سواء مصورا لذاته وعاكسا لشخصيته وهذا ما جاء في معجم المحيط ضمير رفع منفصل للمتكلم مذكراً ومؤنثاً وجمعه نحن[3].

أما في منجد اللغة والأدب والعلوم جاءت الأنا بمعنى ضمير رفع للمتكلم والأنانة قولك أنا[4].

ومن خلال هذه التعريفات يتبين لنا أن الأنا تخص المتكلم وحده فتصور الشخص أو تعكس أفعاله وشخصيته.

---

[1] . ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج1، مادة (أن، أنّى)، ط4، 2000 ص182.

[2] . إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع تركيا، ط2، 1472، ص28.

[3] . بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، (د، ط)، 1987، ص18.

[4] . لويس معروف، المنجد في اللغة والعلوم، دار المشرق والمكتبة الشرقية، بيروت، ط3، 1991، ص13.

1) ب: اصطلاحـــــا:

من الصعب تضييق النطاق على مفهوم الأنا فنجده أحيانا يحمل معنى الذات" هو ما يصلح أن يعلم ويخبر عنه، منقول عن مؤنث (ذو) بمعنى الصاحب؛ لأن المعنى القائم بنفسه بالنسبة إلى ما يقوم به يستحق الصاحبية والمالكية" [1] فهو من المصطلحات التي يصعب تحديدها تحديدا دقيقا، فهو يحمل دلالات مختلفة وفق السياق الذي يرد فيه.

2)الأنا من منظور نفسي:

مما لا شك فيه أن الشخصية الإنسانية تتكون من: الأنا، فالنفس البشرية هي الأنا ... ما تحمله من خصائص ثقافية أو نفسية أو إيديولوجية وما تشمل عليه من أفكار وآمال وطموحات وصراعات وغيرها وبالتالي فإن الذات تشكل مركز الشعور عند الإنسان[2].

إن الأنا عند علماء النفس ترتبط بالشخصية الإنسانية، وكل إنسان تنقسم شخصيته عند فرويد إلى ثلاثة فروع أساسية:

[1]. آية عبد الله بيك "الشيخ عيسى"، جماليات الذات والآخر في ثلاثية الرافعي، إشراف: أ. د فايز القرعان، جامعة اليرموك، كلية الآداب، 15/ربيع الأول/1440ه، 24/كانون الأول/2018، رسالة ماجستير، ص16.

[2]. ينظر: علام عمرو عبد العلي، الأنا والآخر الشخصية العربية والشخصية الاسرائيلية في الفكر الإسلامي، ص90.

- **الهو**: يمثل الجانب اللاشعوري في الشخصية، جملة الميول التي تولد مع الانسان، وهي دوافع غير مضبوطة أي فوضوية بدائية، فشخصية الطفل تتكون من هذه القوى حسب فرويد [1].كما أن وظيفة هذا الجانب إشباع الرغبات بشتى الطرق وإن تطلب الأمر بواسطة الخيال أو الحلم.
- **الأنا**: يمثل الجانب الواعي من الشخصية الإنسانية ويمثل حلقة الوصول بين الذات والعالم الخارجي[2] ،كما يذهب فرويد إلى أن الأنا يشرف على الحركة الإرادية كما يقوم بمهمة حفظ الذات وكبح الرغبات الغريزية التي تنبعث من الهو ويكبت ما يرى هناك ضرورة لكبته والأنا تمثل الحكمة وسلاسة ورجاحة العقل[3] .
- **الأنا الأعلى**: تمثل الجزء الضابط للسلوك في الشخصية الإنسانية ويركز على القيم والمبادئ الأخلاقية وحسب فرويد فالأنا الأعلى هو ذلك الأثر الذي يبقى في النفس من فترة الطفولة الطويلة التي يعيش فيها الطفل معتمدا على والديه وخاضعا لأوامرهما ونواهيهما[4] .

3) الأنا في علم الاجتماع:

إن البيئة الاجتماعية تتيح للإنسان مختلف السبل للتعايش مع الآخر لذلك هو مدين للمجتمع ببقائه، مثلما هو مدين للطبيعة بوجوده، الأمر الذي يؤكد لنا أن في كل فرد منا موجودَين: أحدهما اجتماعي يأتينا بطريق البيئة والآخر فردي يرجع إلى عناصر حياتنا الذاتية، ففي كل واحد منا أثر

[1]. ينظر: د. عبد الرحمن محمد عيسوي، إتجاهات جديدة في علم النفس الحديث، ص113.
[2]. ينظر: أسرار الشخصية وبناء الذات، أنس شكشك، ص30.
[3]. ينظر: سيغموند فرويد، الأنا والهو، دار الشروق، بيروت، ط4، 1402ه-1982م، ص16-17.
[4]. المرجع نفسه، ص17.

اجتماعي، ولا معنى لوجود الفرد إلا إذا نسب إلى الجماعة [1]، إذن الأنا في المجتمع ركن أساسي حيث به تتضح لنا صورة الآخر.

4) الأنا من منظور فلسفي:

إن المقولة التّي جاء بها "رينيه ديكارت" القائلة (أنا أفكر إذن أنا موجود) قد أحدثت تغيرا مهما وتحولا جوهريا في سياقات الفلسفة وبنيتها الفكرية والإنسانية، حيث غدت الأنا موضوعا محوريا في كنه أنساقها التركيبية حيث رأى ديكارت أن الأنا تختص بفكر الإنسان وتفكيره[2]. كما تدل كلمة أنا على ما يهتم به الفرد من أفعال معتادة ينسبها إلى نفسه نحو: أنا فعلت، أنا أبصرت.

الإنسان ذات في تعليل العالم الذي هو موضوع لها والفكرة المؤسسة لفلسفة الذات بدأت مع ديكارت **"أنا أفكر إذن أنا موجود"** وهذا يقتضي أن وجود الأنا وجود عقلي مجرد قبل أن يكون وجودا متحققا بالجسد.

نقرأ في معجم "لالاند" الفلسفي حول مفهوم الأنا أنه: "نزوع إلى رد كل الأشياء إلى الذات" وأيضا حب للذات حصري أو مفرط سمة ذلك الذي يستلحق مصلحة الغير بمصلحته الذاتية ويحكم من هذه الزاوية على كل الأشياء، يستشهد لالاند بعبارة للفيلسوف "بليز باسكال" يقول

---

[1]. صالح إبراهيم نجم، جدلية الأنا والآخر في الشعر الصوفي على امتداد القرنين السادس والسابع الهجريين، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية، السنة 2013/2012، ص24 نقلا عن: صليبا جميل، علم النفس، ص100.

[2]. ينظر: أحمد ياسين السليماني، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق، ط1، 2009م، ص91.

فيها: للأنا خاصيتان فمن جهة هي في ذاتها غير عادلة م حيث أنها تجعل من نفسها مركزا لكل شيء وهي من

جهة أخرى مضايقة للآخرين من حيث إنها تريد استعبادهم، ذلك لأن كل أنا هي عدو وتريد أن تكون المسيطرة على الكل[1] .

ما يعنيه "باسكال" في مقولته أن الأنا حملت معنى السيطرة والتحكم، أي سيطرة الذات على ما تتخذه موضوعا لها سواء كان هذا الموضوع شيئا طبيعيا أو عبارة عن مجموعة من الأشخاص الذين يشكلون صورة للآخر.

وفي البيان نفسه فإن الإنسان لا يتوصل إلى الشعور بشخصيته إلا حين يجرد ذاته من الجسد، ولا يفتأ هذا التجريد يزداد حدة ووضوحا حتى تصبح الشخصية ذاتا متحققة الوجود بالفعل وتسمى آنذاك بالأنا عند علماء النفس الاجتماعي الذين يقسمون العوامل المؤثرة في تكوين أنا الإنسان إلى ثلاثة عوامل وهي:

- العامل الحيوي: وهو مجموع الإحساسات الجسدية.
- العامل النفسي: وهو مجموع الذكريات والتصورات والأفكار.
- العامل الاجتماعي: وهو ما يتصل بنا من آثار الحياة الاجتماعية[2].

[1] ينظر: صالح إبراهيم نجم، جدلية الأنا والآخر في الشعر الصوفي، إشراف د. وفيق محمود سليطين، السنة الجامعية 2013/2012، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية، ص22. نقلا عن: لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: أحمد خليل، إشراف: أحمد عويدات، ط2، منشورات عويدات، بيرت/باريس ،2001م، ص331/329.

[2]. المرجع نفسه، ص25.

وعلى هذا تتضح لنا صورة الأنا في المجتمع ف "هو بداية المعرفة الوجودية يوم أقر الإنسان بوجود مثيل له، ولو كان خياليا أو لا مرئيا على مستوى الحواس، فالإنسان البدائي جعل من الطبيعة والحيوانات آخر، وأخذ يضفي عليهما صيغ المنافس الوجودي الأقوى، فذهب يتفادى قهر الطبيعة وبطشها بمزيد من أسطرتها، أو لعله أخذ يقترض من وجود عوالم أخرى قد تكون أقوى من الطبيعة تأثيراً على الإنسان" [1].

5) الأنا عند العرب:

إنَّ حديثنا عن الأنا عند العرب تحديدا في العصر الجاهلي حيث "لم تكن الأنا في الجاهلية مثلاً منفصلة عن العشيرة بل ذائبة في ال "نحن"، لذلك كانت النزعة الفردية عند بعض أفراد القبيلة مرفوضة وتندرج في إطار ما نسميه الصعلكة، أما أنا القبيلة فقد تجسدت في معلقة عمرو بن كلثوم – لا على سبيل الحصر- حيث قال:□

أَلَا لاَ يَجهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

إِذَا بَلَغَ لَنَا الرَّضِيعُ فِطَامًا تَخِرُّ لَـــــــــــــهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَا

وَنَحْنُ التَّارِكُونَ لِمَا سَخِطْنَا وَنَحْنُ الآخِذُونَ لِمَـــــــــا رَضِينَا

[1]. ينظر: صالح إبراهيم نجم، جدلية الأنا والآخر في الشعر الصوفي، ص25.

□. المرجع نفسه، ص26-27 نقلا عن: الزوزني شرح المعلقات السبع، ط2، دار الجبل، بيروت، لبنان، 1972، ص165-167.

وفي سياق مغاير للأنا زد شكلا آخر لـ "أنا" التمرد فخير من يمثلها "الشنفرى الأزدي" في لاميته، إذ يقول: [1]

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُم فَإِنِي إِلَى أَهْلٍ سِوَاكُم لَأَمْيَلُ

فَقَدْ حُمَّتِ الْحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرٌ وَشُدَّتْ لِطَيَّاتِي مَطَايَا وَأَرْحُل

لَعَمْرُكَ مَا بِالْأَرْضِ ضِيقٌ عَلَى امْرِئٍ سَرَى رَاغِبًا أَو رَاهِبًا وَهْوَ يَعْقِل

هذه الأنا التي صورتها لنا كتب تاريخ الأدب اقتصرنا على نموذجين –لا على سبيل الحصر– حيث نجد تنوع الأغراض للأنا في الشعر العربي بالأنا الفخر، الأنا الجماعية متجسدة في القبيلة، الأنا المحبة وغيرها ..."ثم يأتي الإسلام لتأخذ الأنا بعدا جديدا مقدسا ولا سيما إذا نظرنا إلى سورة "طه" حيث خاطب الله تعالى موسى عليه السلام ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾طه ،ويبدو أن الاختصاص الإلهي بالأنا مع بداية الإسلام قدسها هذه القدسية التي لم تكن لتمتلكها قبل الإسلام[2].

6) النظرة الصوفية للأنا:

[1]. المرجع نفسه، ص27. نقلا عن: الشنفرى: الديوان، جمع وتحقيق وشرح، إميل بديع يعقوب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996م، ص59.

[2] صالح إبراهيم نجم، جدلية الأنا والآخر في الشعر الصوفي، إشراف د. وفيق محمود سليطين، السنة الجامعية 2013/2012، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية، ص 27

إنَّ القداسة والامتياز التي حملتهما الأنا المسلمة الصوفية في صيحة الحلاج:" أنا الحق" التي عدت في أحسن الحالات آنذاك نوعا من الشطح، وفي أسوئها كفراً وزندقة، يستحق قائلها القتل[1]. لكن بعد فترة من ذلك حاول المتصوفة فيما بعد تأويل شطحة الحلاج وأرجحوا أصلها إلى تجربة الحب الإلهي، فكما أن مجنون ليلى كان إذا سأله الناس عن ليلى يقول: "أنا ليلى، كذلك كانت حال الحلاج العاشق لله وحال غيره من العشاق الذين هاموا لمعشوقاتهم وكافوا بهن ووصفوا جمالهن والأمثلة وافرة جدا في هذا الميدان، منها ما ذكره القشيري كتابه (الرسالة القشيرية): لا تصلح المحبة بين إثنين حتى يقول أحدهما للآخر يا أنا"[2].

وفي السياق ذاته وقد شاع هذا المعنى شعراً كأن نجد الحلاج يقول[3]:

أَنَا مَن أَهْوَى وَمَن أَهوَى أَنَا نَحْن رُوحَان حَلَلنَا بَدَنا

فَإِذَا أَبصَرتَنِي أَبصَرتَه وَإِذَا أَبصَرتَه أَبصَرتَنا

وفي مجرى هذا القول نجد شاعرا كالششتري (610-668) يلوح إلى قداسة كلمة أنا قائلاً[4]:

اُنظُر لَلفظِ أَنَا يَا مُغرَمًا فِيه مِن حَيثُ نَظرَتُنا لَعَلّ تَدرِيه

[1] المرجع نفسه، ص27.

[2] صالح إبراهيم نجم، جدلية الأنا والآخر في الشعر الصوفي، ص27-28 نقلا عن: القشيري أبو القاسم عبد الكريم، الرسالة القشيرية، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ص353.

[3] المرجع نفسه، ص28 نقلا عن: الحلاج الأعمال الكاملة، جمع قاسم محمد عباس، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، 2002م، ص330.

[4] المرجع نفسه، ص28. نقلا عن: الششتري أبو حسن الديوان، تحقيق: علي سامي النشارة، ط1، دار المعارف، الإسكندرية، 1960م ص80.

خَلِّ ادِخَارَك لاَ تَفخَر بِعَارِية لاَ يَستَعِيرُ فَقِير مِن مَوَالِيه

جُسُومُ أَحرُفِهِ لِلسِّرِّ حَامِلَة إِن شِئتَ تَعرِفُه جَرِّب مَعَانِيه

على ضوء ما سبق الاستشهاد به يمكن القول أَنَّ الأنا المسلمة الصوفية قد حملت تجربة ذاتية طُرحت في قالب أدبي شعري مانحا إياها الإسلام صورة القداسة مانحةً لله تعالى حباً ووقاراً عُبِّر عنه شعراً، وبذلك تبينت قدسية الأنا في العرض مبينة بذلك صورة الآخر المختلف عنَّا عقائديا.

7) الأنا من منظور إسلامي:

لقد جاء لفظ الأنا في القرآن الكريم حاملاً معنى النفس أو الذات ،قال الله عزّ وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴿٥٤﴾﴾ البقرة54، أي أن النفس الواردة في الكتاب العظيم حملت قصدية مكونات وسمات الجسد والروح بحيث الجوانب التي تحدد سلوك الإنسان تمتثل في خصائصها البنائية، كما أنها تشكل نشاط وفعالية الإنسان، فالإنسان في المنظور الإسلامي كيان متكامل حيث نظرته للفرد أو الذات نظرة يمكن القول أنها عاطفية أي: لمشاعره أو دوافعه لا لسلوكاته وتصرفاته فقط [1].

[1]. ينظر: مرفت عبد ربه عايش مقبل، التوافق النفسي وعلاقته بقوة الأنا وبعض المتغيرات لدى مرضى السكري في قطاع غزة، الجامعة الاسلامية، غزة، 1431ه، 2010م، ص25-26.

تبعا لما سبق وبشكل أعم تعتبر الأنا في الفكر العربي مجموعة القيم والمبادئ التي جاء بها الدين الإسلامي، فحينما نستخدم مصطلح الأنا أو الذات فإن المقصود من ذلك هو القيم المعيارية المتعالية على الزمان والمكان مع تجربة إنزال تلك القيم المعيارية المطلقة على الواقع النسبي الثابت والمتغير، فتمثل بذلك الأنا الذات العربية الإسلامية بكل ما تنطوي عليه من عناصر في التاريخ والثقافة والدين والأخلاق وغيرها ...ومنها الموروث والوافد والثابت والمتغير. وكل ذلك يشكل هوية الأنا ويحافظ عليها[1]. إذن فالأنا في المنظور الإسلامي مجموعة القيم والمبادئ والتّعاريف التي أرساها هذا الدين الحنيف وبهذا تتشكل هوية الأنا الإسلامية.

وفي سياق مغاير لما سبق "إنَّ أبسط تعريف للأنا في سياق دراستنا المتمثلة في حوار الحضارات هو ما ذهب إليه "إدوارد سعيد" ومعه جملة من الدّارسين إلى اعتبار الأنا مصطلح يدل على ثلاثية (العرب ،الإسلام ،الشرق) ونجد عند "نور الدين أفاية" تفصيلا لواحد من هذه المصطلحات وهو الشرق ولكنه تفصيل لا يكاد يخرج عن دائرة بقية المصطلحين بل يشملهما معا[□] ،إذن الأنا حسب ما سبق فهو ينحصر –حسب إدوارد سعيد- في صور العرب وبذلك تتشكل صورة الآخر في الغرب كما تمتثل الأنا في الإسلام وما يناقضه ويغايره فهو آخر بالنسبة لنا وكذلك صورة الشرق ترسم لنا الأنا وفي النقيض الغرب أو المغرب فتتهيأ فيه صورة الآخر، وفي هذا يقول "أفاية": أعتبر الشرق

[1]. فارس نويرة، إشكالية الأنا والآخر وعلاقتهما بحوار الحضارات، قراءة في طبيعة العلاقة، مجلة الفكر المتوسطي للبحوث والدراسات في حوار الديانات والحضارات، المجلة07، العدد2، سبتمبر2018، ص98.

[□]. شهباني إسماعيل، صورة الأنا وعلاقته بالآخر في ظل تعايش الحضارات (رواية اليهودي الحالي)، لليمني علي المقري أنموذجا، مجلة إشكالات في اللغة و الأدب، مج11، ع:1، السنة:2022م، ص824.

مفهوما يمثل نقيض الغرب وليس له حدود بل يجوز أن يعني كل العالم الذي لا يدخل في دائرة الغرب وداخل امتداده المباشر...لكنه اقتصر على الشرق الأكثر قربا الذي كان ولا يزال الغرب يحتك به وهذا الشرق يضم العالم العربي وإيران وتركيا.

2) مفهوم الآخـــــــر.

1) أ: **لغة: ورد** في لسان العرب: "والآخر بالفتح، أحد الشيئين وهو اسم على أفعل، والانثى أخرى إلا أن فيه معنى الصفة لأن أفعل من كذا لا يكون إلا في الصفة. والآخر بمعنى غير، كقولك: رجل آخر وثوب آخر "[1]. فالآخر حسب ابن منظور هو المخالف أو المغاير.

1) **ب: اصطلاحـا**: "لم يرد بالقرآن الكريم لفظ الآخر (بفتح الخاء) إلا دالاً على مخلوق أو على إله زائف، ومن ثم فإن هذا المفهوم خاص بما هو نسبي فقط. أما الله تعالى فمن أسمائه الآخِرُ (بكسر الخاء)، أي الباقي بعد فناء خلقه كله والمؤخر أي الذي يؤخر الأشياء فيضعها في مواضعها والمقدم والأول أي الذي ليس قبله شيء وليس بعده شيء، وله الآخرة والأولى"[2]. وفي ذات السياق "ومعنى ذلك أن الله تعالى يتصف بالآخرية المطلقة والأولية المطلقة، في حين يعتبر كل أنا نسبي آخر إلى ما عداه، فكل أنا من الأنماط التي سبق رصدها آخر بالنسبة إلى غيره، وبهذا فإن

[1]. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت، ص38.

[2]. السيد عمر، الأنا والآخر من منظور قرآني، دار الفكر، دمشق، ط1 ،1429ه -2008م، ص151-152.

مفهوم الآخر مفهوم علاقي لا يتعدد إلا بغيره، ويمثل أنا وآخر من شيء واحد أو مغاير، ويتشابك مع مفاهيم الصلة والمكانة والزمان والمكان" [1].

2) الآخر من منظور فلسفي:

من الصعب أن يحصر الإنسان نفسه في معزل عن الآخرين حيث أن قطب الأنا لا يمكن أن يعيش إلّا في علاقته بقطب الغير الذي يمثل لنا الآخر، معلوم أن المرء يولد بمفرده ويموت بمفرده، ولكنه لا يحيا إلا مع الآخرين وبالآخرين وللآخرين، وإذا كان ظنّ البعض أن الشّعور الفردي إنّما هو ذلك الوعي الخاص الذي نستشعر معه أننا موجودون وحدنا دون الآخرين، فإن "هيدجر" يقرر أن الوجود بدون الآخرين هو صورة من صور الوجود مع الآخرين بمعنى لا وجود للغير أي الآخر في غياب الأنا[2].

فالعلاقة إذن مع الآخر ضرورة من ضرورات الوجود، والمرء من خلال الآخر يكتشف نفسه، ما يدعم هذا القول هو ما أكده "سارتر" في قوله: "الآخرون هم أساسا الأهم فينا كي نتعرف على ذاتنا"[3]، إذن الآخر حسب المنظور السارتري الوجودي هو أن الذات "الأنا" تتحقق أو بالأحرى تتأسس بالغير أي "الآخر" وعليه فوجود الآخر بات يقتضي بالضرورة هو وجود أولي للذات، كما أن وجود الذات يستلزم الوعي بها.

---

[1]. المرجع نفسه، ص152.

[2]. ينظر: زكريا إبراهيم، مشكلة الإنسان، مكتبة مصر، د ت، د ط، ص153

[3]. ينظر: د. نادر كاظم، تمثيلات الآخر (صورة السود في أكتيفيل) العربي الوسيط، مطبعة سيكو، بيروت، ط1، 2004، ص313.

هذا الوعي يقتضي الوعي بالآخر بالضرورة وعليه الذات ليست جوهراً ثابتا يستلزم كذلك عدم ثبوت الآخر، بل هو مفهوم نسبي يتحدد على معايير متباينة ومتغيرة، فقد يتحدد على أساس شخصي بحيث يكون كل شخص سواي هو آخر بالنسبة لي كما قد يتحدد على أساس قبلي أو ديني أو قومي، وهكذا يكون الآخر هو من يختلف عنا في الشخصية أو القبلية أو الدين أو القومية وهو لذلك مفهوم متحرك ومتغير بصورة دائمة.

والآخرية بصفتها مقولة فلسفية/ Philosophical category تعني في بعدها الوجودي أنَّ من ليس أنا فهو آخر بالنسبة لي، وتتوسع الآخرية لتشمل كل ما يميز هذا الآخر من أنماط مختلفة فكرية ثقافية ...حيث تصل إلى الرؤى العامة حول الكون والوجود والمصير [1].

الآخر: "إسم خاص للمغاير، يقال للأشخاص والأشياء والأعداد ويطلق على المغاير في الماهية ويقابله الأنا، والاثنان يتمثلان في الوعي، وكلما زاد الوعي زاد الإحساس بالأنا والآخر، والآخر المقصود هو الغير ليس كما هو في الواقع وإنما كما أعيه أنا، والغيرية Ultiruism هي أن أوثر الآخر أو الغير على عكس الأنانية Egoism وهي أن أوثر الأنا أي نفسي"[□].

3) الآخر في الثقافة العربية الإسلامية:

[1]. ينظر: د. المبروك الشيباني المنصوري، صناعة الآخر في الفكر الغربي المعاصر من الاستشراق إلى الاسلاموفوبيا، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط1، 2014، ص13.

[□]. د. عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2000م، ص29.

تتهيأ لقارئ التاريخ تشكل صورة الآخر في الإسلام قديما وذلك من خلال رحلات العرب الذين أسهموا بشكل كبير في تأسيسها دون أن ننسى مختلف التواصلات التجارية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها ...

إنَّ النظرة التي أعطاها الإسلام للآخر وذلك من خلال تعاليمه وتوجيهات لسلوكاته ميزته عما كان عليه قبل هذه الفترة "في منظور حضارتنا الإسلامية هو حقيقة لطرف لم يكن يقصد منه عدو هذه الحضارة، كما تقصر أفهام بعض الكتاب وتوهم فلسفاتهم، فهو مفهوم يتسع مدلوله ليعبر عن كل ما هو غير الذات. وقصد به هنا غير المسلمين، وهو شامل لما يصطلح على تسميته في حضارتنا الإسلامية وعبر عصور التاريخ بأهل الذّمة..." [1]، وقد يرتبط مفهوم الآخر بمفاهيم مجاورة خاصة في الدراسات الفكرية والنقدية أبرزها: الأنا، الاختلاف، الثقافة، الحضارة، الاستشراق، العرقية، الأقليات، المركز، الهامش، الخطاب، الهوية ".

من المدلولات التي حملها الأنا المغايرة أو المناقضة للأنا، "وقد ساد كمصطلح في دراسات الخطاب الكولونيالي وما بعده وتحديداً في سياق علاقة المستعمِر بالمستعمَر ،ويقوم في دراسات ما بعد الكولونيالية على ثلاثة محاور كبرى "فالآخر في أكثر معانيه شيوعا يعني شخصا آخر أو مجموعة مغايرة من البشر ذات هوية موحدة وبالمقارنة مع ذلك الشخص أو المجموعة أستطيع أو نستطيع تحديد اختلافي (إختلافنا) عنها، وفي مثل هذه الضّدية ينطوي هذا التجديد على التقليل من قيمة الآخر

[1]. ينظر: العبيدي طارق زياد محمد، الآخر مفهوما ثقافيا في الدراسات الثقافية، مجلة الباحث، مج 13، العدد1، 2021، ص96.

وإعلاء قيمة الذات أو الهوية" [1]، وهنا تتجسد العلاقة الجدلية بين الطرفين (الأنا العرب و الآخر الغرب)، إذن نجد أن الآخر قد شاع في الخطاب الكولونيالي كما حدد في علاقة المستعمِر بالمستعمَر مشكلا بذلك ثنائيتي الأنا والآخر، كما يوضح النص السابق أن الآخر يعني شخصا أو مجموعة أو جماعات مغايرة تجمعهم ذات الهوية، وإذا ما قارنا ذلك الشخص أو الجماعة فنستطيع تحديد الاختلاف مشكلين صورتين تمثل إحداهما الأنا والأخرى الآخر.

4) الآخر في الوسط الثقافي:

إنَّ تعريفات الآخر التي تقول "لا وجود لآخر دون وجود الأنا فلا بد من توفر شروط الاختلاف والتمايز حتى يمكن التفريق بينهما فكلاهما يحدد غيره ويحيل إليه، فبمجرد قول عبارة صورة الآخر يتبادر مباشرة إلى الأذهان مفهوم الذات أو الأنا"[2]، إذن هذا النص يؤكد صحة قول لا وجود للآخر في غياب الأنا، كما يجدر بنا الحديث: "في هذا المقام هو أن قضية الأنا والآخر لا ترتبط دائما بوجود علاقات ثقافية فقط بين الطرفين وإنما يتسع المجال ليشمل العلاقات بين الجنسين (ذكر-أنثى) والعلاقات الاجتماعية، كما يحدث في إطار العرق والأقليات واللون أو حتى الدين والانتماءات الجنسية ضمن إطار جغرافي واحد"[3]، إذن فهذه العلاقة بين الأنا والآخر لا تنحصر في الوسط الثقافي فقط بل لها أبعاد أخرى كبرى حيث أنها تشمل الذكر والأنثى ومختلف العلاقات الاجتماعية بين

[1]. أحلام فاتح مامي، واقع الأنا والآخر في الخطاب الروائي ما بعد الكولونيالي، مجلة استراتيجيات ضمان الجودة، مج01، العدد1، ص10، نقلا عن ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ص23.

[2]. العبيدي طارق زياد محمد، الآخر مفهوما ثقافيا في الدراسات الثقافية، ص97.

[3]. المرجع نفسه، ص97.

الانسان والآخر والانسان والمجتمع، الأمر يصل حقا حتى إلى الديانات والانتماءات فتتهيأ الأنا في صورة الاسلام والآخر في صورة اليهودي مثلا أو المسيحي...وتصل إلى الأبعاد الجغرافية حيث يمثل المشرق صورة الأنا بينما المغرب صورة الآخر... [1]، ومن التعريفات الحداثية التي صيغت للآخر أنه ذلك الدال على المختلف القابل للاكتشاف ،فهو يختلف عن الأنا باتجاهاتها السيكولوجية والمرجعية كلها ذلك أنَّ الأنا نفي للآخر .

إنَّ الغيرية كمبدأ مُؤَصَّل في القرآن الكريم يكشف لنا الكثير من آيات الكتاب العظيم ومنها ما سبق الاستشهاد به وبهذا "يتجلى تكريم الله للإنسان واحترام إرادته وفكره ومشاعره وهذه هي أخص خصائص حقوق الانسان وأقوم منهج للمجتمع الانساني، فالغيرية في الاسلام تعني في جوهرها التسليم بالاختلاف، التسليم به أفقاً لا يسع عاقلا إنكاره والتسليم به حقا للمختلفين لا يملك أحد سلطة حرمانهم منه، وهي معنية بالموضوع الذي يكون الاختلاف حوله أو الذي ينحصر فيه نطاقها فتكون دينية مذهبية لغوية ثقافية عرقية اقتصادية سياسية..."[2].

وردت كلمة "الآخر" في القرآن الكريم على عدة أشكال وهيئات فنجدها أحيانا وردت مفردة في قوله تعالى: (۞وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ٢٧) سورة المائدة، ونجدها جاءت بصيغة الجمع وتضمنت هذه الآيات ذكراً متكررا لكلمة آخرون ولكلمة آخرين في وضعين مختلفين، جاء في الوضع

[1]. المرجع نفسه، ص97.

[2]. العبيدي طارق زياد محمد، الآخر مفهوما ثقافيا في الدراسات الثقافية، ص87.

الأول: بتوجيه الخطاب القرآني إلى غير المؤمنين في مقابل المؤمنين على النحو الآتي: منهم من أنزل الله عقابه عليهم في الدنيا محددا نوع هذا العقاب المنزل بحق عناصر ضدية غير مؤمنة، كما في قوله تعالى :(ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ﴿٨٢﴾)الصافات، وقوله :(ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ﴿١٧٢﴾) الشعراء، في إشارة دالة على نجاة فريق منهم من الغرق والتدمير، لقد اصطفاهم الله في مقابل فريق آخر أغرقهم ودمرهم" [1]، وفي الصدد نفسه "ونوع آخر يؤجل الله عقابه لهم إلى يوم القيامة وهؤلاء هم من هؤلاء الآخرين غير المؤمنين كما جاء في قوله تعالى: "(وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴿٣٨﴾) ص، وهؤلاء آخرون بالنسبة للذات الإلهية ولكنهم آخرون ضديون غير مؤمنين"[2]، وفي هذا السياق انبرى قول "أنَّ كلمة آخرون جاءت خمس مرات وكلمة آخرين ستة عشر مرة".

إن القداسة التي أعطاها الاسلام للآخر لا يوجد لها نظير لا في ما سبق ولا مستقبلا؛ إذ راعى الاسلام الآخر من كل الجوانب عقائديا، فكريا، في اللون...وهذه المراعاة والقدسية التي وسم بها الآخر لم تكن كائنة قبل الاسلام "فمفهوم الآخر في الحضارة الفرعونية كان قائما على أساس التفاوت الطبقي بين الحكام والعبيد، وكانت العلاقة بين فرعون ورعيته قائمة على تكريس نظام عبودية الآخر ونفيه وإبادته"[3] ، ولو تتبعنا الاستشهاد التاريخي لصورة الآخر في زمن جبروت فرعون

[1]. د. أحمد ياسين السليماني، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، ص89.

[2]. د. أحمد ياسين السليماني، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، ص89-90.

[3]. هجيرة بوسكين ،الآخر في الخطاب النقدي المقارن ،مجلة المدونة ،العدد الخامس ،ربيع الأول 1437 ه الموافق ل: جانفي 2016م ،ص189.

لاتضح لنا كيف كان الآخر في ذلك الزمن زمن الرق والاستعباد، زمن التسلط والطاغوت وتكريس الآخر.

وفي السياق ذاته أيضا وفي الحضارتين الإغريقية والرومانية وبقدر ما أنتجتا من علوم ومعارف ذات قيم إنسانية "تؤكد على ضرورة أن يعيش الانسان وسط أقرانه وكفاحه من أجل الشعور بالآخرين والإحساس بقيمة الحياة في وسط جماعة. " بقدر ما ركزتا في المجال الاجتماعي على الاحتفاظ بمبادئ الاستعباد التي حكمت على الآخر/الغير بالدونية والاحتقار وسلب إرادته." [1]

يظهر جليا أنَّ الآخر لم يرق بتاتا في المجتمع الإغريقي والروماني كون نظرة العبيد كانت راسخة في حكام هذا الكيان المتظلم البائد للآخر، والاحتقار للآخر في هاتين الحضارتين كان –إن صح التعبير– سنة متوارثة كونها كانت تسلب إرادة الآخر تحت أي شكل من الاشكال بمبدأ الاستعباد والتجبر.

وفي مجرى الحديث عن الآخر "وبعد مجيء الديانة اليهودية ثم تجديد العلاقة مع الآخر المغاير الأغيار من خلال تطويع النص الديني وإغنائه بمعايير أثبتوا بموجبها أنهم شعب الله المقدس، فغذت تلك النصوص نمو الوعي العرقي بفكرة الشعب المختار، الجنس المتفوق على الآخر، كتب له تاريخ مقدس خاص لا يمكنه من الاندماج في أمة أخرى ولو عاش في ظلها أجيالاً"[2].

[1]. المرجع نفسه، ص 189، نقلا عن: جوزيف فوجت، نظام العبودية القديم والنموذج المثالي للإنسان، كروان المجلس الاعلى للثقافة مصر، 1999، ص7.

[2]. هجيرة بوسكين، الآخر في الخطاب النقدي المقارن، ص189-190.

إذن فالآخر عند اليهودي –حسب المعتقد- هو تلك الأنا اليهودية المقدسة عن سائر المخلوقات مستندين بذلك على نصوص دينية ترسم لهم صورة الآخر-في نظرهم- أنهم شعب الله المختار والمقدس.

وفي معتقد مغاير في الديانة المسيحية "فإنها قربت المؤمنين بها إلى الزهد والانقطاع عن الحياة الدنيا وشؤونها وتركت الآخر الغير منضويا تحت لواء الرهبانية والزهد بعيدا عن مملكة الرب ولا يستحق الدخول فيها وبالتالي فهو محروم من غفران الكنيسة ومطرود من مملكة الرب، وبذلك تم تقعيد المقولة التاريخية المسيحية (ترك ما لله لله وما لقيصر لقيصر) على أساس أن الآخر/الداخلي(الذات) الخارج عن سلطة الكنيسة والآخر/الخارجي هو من ينتمي لديانات أخرى. [1]

إذن فالآخر حسب المعتقدات السالفة –قبل مجيء الاسلام- قد كان مستعبدا ومستغلا مستأصلا مهمشا طغت عليه كل صفات الرق والإضطهاد والإقصاء، فنظرة هذه المعتقدات نظرة دونية قاصرة قاهرة إلى أن جاءها الإسلام فكان النموذج الأرقى الأسمى الذي يخرج هذا الآخر من العدم إلى صورة لا يمكن إقصاؤها والتغاضي عنها.

5) النظرة الإسلامية المثالية للآخر:

إنَّ الرؤية التي أرساها هذا الدين الإسلامي القيم للآخر ما شهدته الديانات السابقة قط، إذ به تحققت آية التنوع والاختلاف والتمايز والتعدد في إطار وحدة الدين ووحدة العقيدة الإلهية، وتأسس

[1]. المرجع نفسه، ص190.

لأول مرة في تاريخ الفكر الديني البشري أول ميثاق لحقوق الانسان في العالم، وهو الميثاق الذي تجاوز بكثير حدود الإعتراف النظري بالآخر المخالف إلى ضرورة تفعيل هذا الإعتراف من خلال القبول به ومحاورته والتمكين له وتأمينه إلى حيث جعله في الشريعة الإسلامية جزءًا من الذات الدينية الواحدة"[1] ،فالإسلام بهذا قد منح الآخر وسام التميز، التعدد والتنوع في إطار وحدة الدين كما منحه سمات الوجود الفعلي والتي جُرِّد منها سابقا ومن خلال هذا فإن الإسلام في تعامله مع الآخر إلى تقريره وحدة الألوهية والربوبية لكل العالمين، عقيدة الإيمان بكل الكتب السماوية التي نزلت وجميع النبوات والرسالات التي سبقت وسائر الشرائع الإلهية التي توالت منذ آدم عليه السلام إلى محمد **ص**، وقد أصَّل القرآن الكريم لأسس الحوار والإعتراف بالآخر نظريا من خلال العديد من الآيات نورد منها قول الله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴿٦٢﴾) البقرة، وقال تعالى: (ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴿٤٠﴾) سورة الحج .

[1]. هجيرة بوسكين، الأخر في الخطاب النقدي المقارن، ص190-191.

إنَّ النظرة التي ينظر فيها المسلمون للآخرين المخالفين لهم في الدين أو العقيدة نظرة الأخوة الإنسانية –بالرغم من الاختلاف في الدين والإعتقاد- الناشئة عن وحدة الأصل والجذور"[1]، وفي السياق ذاته يؤكد القرآن الكريم بعد ذلك مبدأ تكريم الجنس البشري بصفة عامة في قوله تعالى: (۞وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠) سورة الإسراء.

إن الاهتمام الذي أرساه العديد من الباحثين والدارسين في الآخر وذلك بالتركيز على المختلف من حيث العقيدة، العرق والحضارة بمعنى واسع، فالآخر لا يكون إلا بوجود ذلك الاختلاف بين الجماعات وتمايزها ولا سيما في مسألة الانتماء القومي والعقائدي الذي يظل من أكثر الانتماءات المؤدية إلى انقسام شعوب العالم في العصر الحديث على أسس قومية- عقائدية [2].

ب ب. المبحث الثاني: صور الآخر في الكتب السماوية:

1. في التوراة:

إنَّ الآخر الاسرائيلي قد أعطت لنفسها قيمة كونها خصت نفسها بالقداسة والتمايز عن المسلم الذي يشكل صورة الأنا، إن هذا الإختصاص حسب تفكيرهم يتضح في "عبارات عديدة في التوراة تبين طبيعة النظرة للآخر المختلف عن اليهودي المقدس في الأصل، وتعد فكرة الإختيار الإلهي لبني إسرائيل عقيدة جوهرية عندهم ويرى علماؤهم على اختلاف الجماعات المنتمين إليها

[1]. هجيرة بوسكين، الآخر في الخطاب النقدي المقارن، ص191.

[2]. العزوني فتيحة، مستويات حضور الآخر في الأدب الجزائري القديم، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، ص133.

أن الاختيار عقيدة أصلية عززتها نصوص التوراة، فقد جاء في سفر التثنية "إنّك يا إسرائيل شعب مقدس للرب إلهك لأنك أنت مقدس للرب إلهك ... إياك اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب "[1] ،إذا هكذا تشكلت صورة الآخر في اليهود حيث أفردت –حسب معتقدهم- أنها الآخر المختارة المائزة عن باقي الشعوب مستندين بذلك إلى نصوص التوراة.

2. في التلمود:

الآخر في النصوص التلمودية أو الأغيار مصطلحان حملا كلاهما ما يناقضان الأنا، حيث نجد تكرارا في الأغيار في النصوص التلمودية وهم يعنون بذلك الآخر.. إن تأثير هذه النصوص وأقوال الحاخامات أنتج انفصالا وانعزالا لليهود عن الآخر، يتجلى ذلك في:

* "اليهود هم البشر أما غيرهم فهم ليسوا من البشر بل وحوش وشياطين.

The jews are called human beings but the non-jews are not human they are beasts…..Talmud Baba mezia114 b

* أرواح غير اليهود جاءت من أرواح غير نقية تسمى خنازير.

The souls of non-jews come from inpure spirits and are called pigs…Jalcut Rubeni gadol 12b

[1]. العلواني رقية وآخرون، مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، دمشق برامكة، دار الفكر، الطبعة الاولى 2008، ص48-49.

* على الرغم من أن غير اليهود لهم ذات التركيب الجسدي لليهود إلا أنهم في المقارنة كما نقارن بين القرد والانسان.

Although the non-jew hastle same body structure as the jew the compare with the jew like a monkey to a human. Schene luchoth haberith p250 b.[1]

إنَّ هذه النصوص التلمودية توضح لنا كيف هو الآخر عندهم –اليهود– والقداسة التي ميزوا ذواتهم من غيرها، حيث شكلت هذه النظرة القاصرة دربا للعنصرية يتمثل في مقت وكره كل ما هو غير يهودي معلنين بذلك تفردهم الواهم باختيار الرب لهم كأحبة الله واختياره، وبهذا تتشكل صورة الآخر في نظر المسلم الذي ارتكز ويرتكز للأنا في ظل هذا المعتقد الديني.

3. في الاسلام:

إنَّ الآخر في أبسط تصاريفه "هو الغير أي المختلف وكانوا يطلقونه على الأشياء وأيضا الحالات المعنوية، إن الآخر هو السوي المغاير الذي يقابل الذاتي والمشابه" □

[1]. العلواني رقية وآخرون، مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، ص64-65.

□. هجيرة بوسكين، الآخر في الخطاب النقدي المقارن، ص186.

إن الآخر كما سلف الذكر هو ذاك المغاير أو المتناقض للأنا، فالآخر أو الغيرية فهي "تعني ضمنيا التعايش والتعارف مع احترام الفروق بالنسبة للأفراد شعوبا وقبائل وجنسيات ولغات وأديان على حد سواء ،فالنظرة الإسلامية لا تعد التعدد والتنوع البشريين من قبيل الحوادث التاريخية أو الإنحرافات الشخصية أو العيوب الإنسانية بل تعدهما مظهرا من الأفكار والمشارب والأهواء والأذواق" [1]، وفي مجرى القول "ما أكدته مجموعة من آيات كتاب الله الحكيم"[2] كقول الله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩﴾ هود ،وقوله سبحانه :﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨﴾ سورة المائدة.

إنَّ الآخر في أبسط تجلياته هو ما "يأتي بمعنى صفة كل ما هو غير أنا وفكرة الآخر بمعنى غير الأنا مقولة إبستيمولوجية ملخصها الإقرار بوجود خارج الذات العارفة، أي كينونات موضوعية"[3]، إذا كل ما يناقض الأنا يشكل لنا صورة الآخر، وعلى هذا القول "يتجلى الآخر في أنه نقيض الأنا وقد ساد كمصطلح في دراسات الخطاب الكولونيالي وما بعده وتحديدا في سياق علاقة المستعمِر

[1]. المرجع نفسه، ص 186.

[2]. المرجع نفسه، ص 187.

[3]. أحلام فاتح مامي، واقع الأنا والآخر في الخطاب الروائي ما بعد الكولونيالي، ص10. نقلا عن: عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، ص13.

بالمستعمَر ،ويقوم في دراسات ما بعد الكولونيالية على ثلاثة محاور كبرى "فالآخر في أكثر معانيه شيوعا يعني شخصا آخر أو مجموعة مغايرة من البشر ذات هوية موحدة، وبالمقارنة مع ذلك الشخص أو المجموعة أستطيع أو نستطيع تحديد اختلافي (إختلافنا) عنها وفي مثل هذه الضدية ينطوي هذا التحديد على التقليل من قيمة الآخر وإعلاء قيمة الذات أو الهوية، وهنا تتجسد العلاقة الجدلية بين الطرفين (الأنا العرب و الآخر الغرب) والإشكاليات التي ولدتها هذه الثنائيات المتضادة" [1] .

إذن وبشكل أبسط الآخر هو ذلك الغير المتهيَّأ في صورة شخص مثلا أو جماعة أو جموع من الأشخاص وبهذا تتشكل صورة اختلاف عن الأنا كمرآة عاكسة له، " لذا فالآخر في الفكر الغربي يشير دائما إلى بلاد العرب، الإسلام، الشرق، العالم الثالث المتخلف مقابل مصطلح الآخر الذي يمثل الغرب بكل خصوصياته وسماته معتبرا الشرق مفهوما يمثل نقيض الغرب وليس له حدود بل يجوز أن يعني كل العالم الذي لا يدخل في دائرة الغرب وداخل امتداده المباشر..."[2].

ب ب ب. المبحث الثالث: تفاعل الأنا والآخر:

1. 1): حوارية الأنا والآخر في القرآن الكريم:

تعريف الحوار:

أ- **لغـــــة**: حور، الحور: الرجوع إلى الشيء، قال "لبيد بن ربيعة":

[1]. المرجع نفسه، ص10، نقلا عن: ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي، بيروت، لبنان، ط3، 2002، ص23.

[2]. أحلام فاتح مامي، واقع الأنا والآخر في الخطاب الروائي ما بعد الكولونيالي، ص10 – 11، نقلا عن: محمد نور الدين أفاية، المتخيل والمتواصل (مقاربات العرب والغرب)، دار المنتخب العربي، لبنان، 1993م، ص95 – 96.

وَمَا الـمَـــرءُ إِلاَ كَالشِّهَابِ وَضَوئِه يَحُورُ رَمَادًا بَعدَ إِذ هُو سَاطِع.

والمحاورة: المجاوبة، والتحاور التجاوب، والكلام في المخاطبة وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام، والمحاورة مراجعة المنطق، واستحار الدار: إستنطقها، من الحوار الذي هو الرجوع [1].

ب- **اصطلاحا**: هو مراجعة للكلام وتداوله بين طرفين، وهو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بطريقة متكافئة، ويغلب عليه طابع الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب وهو ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه [2].

يقول بسام عجك: "الحوار هو محادثة بين شخصين أو فريقين حول موضوع محدد لكل منهما وجهة نظر خاصة به هدفها الوصول إلى الحقيقة أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر بعيدا عن الخصومة أو التعصب بطريق يعتمد على العلم والعقل مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة ولو ظهرت على يد الطرف الآخر.[3]

إنَّ الحوارات المذكورة في القرآن الكريم هي حوارات عديدة اعتمد عليها القرآن كوسيلة من أقوى الوسائل الاقناعية كونها تجلي الحقائق وتبين المواقف وكما أنها تتسم بطابع الهدوء والكفؤ بين المحاورين، فقد تعددت الحوارات في قصص الأنبياء مع أقوامهم.

1. 2): الحوار القرآني:

[1]. ينظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ج4، ص217 -219.

[2]. ينظر: يحي بن محمد حسن بن أحمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1414ه 1994م، ص22.

[3]. بسام داود عجك، الحوار الاسلامي المسيحي، دار قتيبة، ط1 ،1418ه/1998م، ص20.

ويتشكل لنا هذا الحوار القرآني من خلال "جملة منطوقات تبادلها طرفان أو أكثر بلغة القرآن ذاتها بشكل خاص يتناسب مع الطرف المحاور، فالواقعية في الحوار القرآني واقعية نفسية لا لغوية وتحقق هذا النمط التعبيري في ثلاث وتسعون وخمسمائة وألف آية أي ما يعادل ربع القرآن الكريم[1]، إنَّ هذا الكم الهائل من الحوار القرآني في مختلف آي الذكر ما هو إلا "دعوة فعلية باتخاذ الحوار منهجا يكشف الحقائق ويرسِّخها، فالقرآن كتاب الحوار إنه يجعله سبيلا لحل قضاياه ابتداءً بباب الحوار الذي فتحه الله أمام الملائكة والشيطان لما أراد خلق آدم مروراً بحوارات رسله مع أقوامهم وانتهاء بحواره مع خلقه يوم القيامة"[2]، إذن هناك إشارة واضحة المعالم وذلك بانتهاج الحوار كسبيل ناجح كونه أكثر الأساليب إقناعا وأيضا نابذ للخصومة والنزاع فمرد المسائل والخلافات إلى الحوار هو السبيل الأرشد للإفهام والاثبات.

3.1): نماذج من الحوار في القرآن الكريم:

أ- **حوار الله تعالى بينه وبين إبليس**: هو من أولى الحوارات التي أوردها لنا قرآننا الكريم في مختلف آياته وسوره فقد "حاور الله عزَّ وجل إبليس لَّمـــــــا رفض الامتثال لأمره بالسجود لآدم عليه السلام سامحا له بالصريح بأهوائه ومشاعره بالرغم من علمه المحيط بها ومعرفته المسبقة بنهاية هذا الحوار، وكأنه عزَّ وجل يعلم الناس أن يلجؤوا إلى الحوار قبل لجوئهم إلى القوة

[1]. فوز سهيل كامل نزَّال، لغة الحوار في القرآن الكريم، دار الجوهرة، عمان، الطبعة 1، 1424ه 2003م، ص26.
[2]. فوز سهيل كامل نزَّال، لغة الحوار في القرآن الكريم، ص26.

مهما ملكوا من وسائل القوة، ومهما كان خلاف مخالفيهم[1]. وفي السياق ذاته جاء في الحوار الآتي في سورة الأعراف: (وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَۖ

قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾

قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾

قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾

قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾

قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾

قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾)

هذا النموذج القرآني المستشهد به يبين للقارئ مظهرا من مظاهر الحوار في القرآن الكريم بين الله عزَّ وجل الذي شكل لنا "الأنا" المحاوِر وبين إبليس الذي تشكلت به صورة "الآخر" المحاوَر.

ب- حوار إبراهيم عليه السلام مع النمرود:

[1]. المرجع نفسه، ص34.

لقد حمل القرآن الكريم واحتوى على العديد من الحوارات للأنبياء مع أقوامهم ونظرائهم واختلفت مسائل الحوار بينهم، كما نجد "الحوار بين إبراهيم عليه السلام والنمرود في مسألة الربوبية ،كما أوضح قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴿٢٥٨﴾﴾ سورة البقرة، قال الحافظ ابن كثير: ذكر السُّدِّيُّ أنَّ هذه المناظرة كانت بين إبراهيم عليه السلام والنمرود بعد خروج إبراهيم من النار و لم يكن اجتمع بالملك إلا في ذلك اليوم فجرت بينهما هذه المناظرة.[1]

وهذا نموذج آخر يرويه لنا هذا الكتاب العظيم الذي دار بين سيدنا إبراهيم عليه السلام والذي تمثلت واكتملت به الأنا وبين الملك النمرود الذي تمثلت به صورة الآخر المحاوِر المحاجِج.

ج- حوار موسى عليه السلام مع فرعون:

هذا الحوار هو من بين الحوارات التي تكررت في سور القرآن الكريم حيث "ابتدأ فرعون الحوار بالاستفسار والسؤال عن حقيقة الإله الذي أرسل موسى عليه السلام، فكان الجواب فيه البيان الشافي لحقيقة رب العالمين، قال الله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ

[1]. عبد الله بن حسين الموجان، الحوار في الاسلام، مركز الكون، مكة المكرمة، ط1، 1427ه/2006م، ص52.

وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴿٣١﴾) سورة الشعراء.

وفي السياق ذاته "يظهر من الحوار أن موسى عليه السلام تلطف مع فرعون طلبا في استجابته للدعوة وإرخاءَ لعنان الحوار معه مريدًا لقهره بالحجة الدامغة في باب النبوة، وهي إظهار المعجزة فعرض له حتى يُلجِئَهُ إلى طلب المعجزة"[1]، فشخصية موسى عليه السلام فيما سلف ذكره صوَّرت لنا الأنا المحاورة والحجاجية ومن خلال أدلة أوردها في إثباته لحقيقة وجود الله عزَّ وجل لفرعون الذي بدوره شكل لنا صورة الآخر المغالط والمحاجِج.

2. 1): حجاجية الأنا والآخر في القرآن الكريم:

تعريف الحجاج:

أ- **لغة:** ورد في لسان العرب مادة "حجج" "أحج": القصد، يقال: حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته، أي طلبته بالحجج، والحجة البرهان وقيل: الحجة ما دوفع به الخصم وقيل: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محاجج أي جَدِل والتّحاج

[1]. عبد الله بن حسين الموجان، الحوار في الاسلام، ص53، نقلا عن: فتح البيان (13/7).

التخاصم وحاجَّه محاجة وحجاجا، نازعه الحجة[1]، من خلال قول ابن منظور فإن كلمة الحجاج تعني التخاصم والنزوع وذلك عبر البرهان.

وفي معجم التعريفات أورد الجرجاني "الحجة ما دل به على صحة الدعوى وقيل الحجة والدليل واحد[2].

ب- **اصطلاحا**: لقد تعددت تعريفات الحجاج وتنوعت ومن بين هذه التعريفات "إن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها"[3]، إذن حسب هذا التعريف فالحجاج هو جملة من الأدلة والدلائل التي تقودنا إلى هدف معين ويكون ذلك بواسطة حجج وبراهين مقنعة.

2.2): الحجاج القرآني:

لقد احتوى قرآننا الكريم العديد من الخطابات الحجاجية الإقناعية وهو ما نجده في مختلف آي القرآن الكريم، فهو يطرح أمرا في غاية الأهمية ألا "وهو الإيمان بالله الواحد ويقدم الحجج بمستويات مختلفة لتدعيم الرسالة النبوية والوقوف ضد ما يعتقد به المشككون،

---

[1]. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت، مادة (حجج)، ص879/878.

[2]. الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، د ط، د ت، ص73.

[3]. علوي حافظ إسماعيلي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج1، الحجاج: حدود وتعريفات، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010م، ص57

وما يقدمونه من حجج أو بالأحرى من شبهات فالرافضون له والعازفون عنه كثر وهم من مستويات مختلفة لهم حججهم وإن كانت واهية، حيث يمكن أن تقنع أصناف ولا تقنع أصنافا أخرى لأسباب متعددة يذكرها القرآن" [1].

وفي السياق ذاته تعددت مظاهر الحجة في القرآن الكريم إذ يستحيل الوقوف عليها كلها لأن ذلك عُدَّ عماد إعجازه، وتتمثل في بعض القوالب والصيغ والأدوات والإجراءات"[2]، وفي مجرى القول أيضا "نجد في القرآن الكريم من الأدلة والمناهج العقلية ما ينفع الناس على اختلاف أجناسهم وتفاوت أفهامهم فكل واحد يجد فيه ضالته وبغيته، يقول أبو حامد الغزالي: "أدلة القرآن مثل الغذاء ينفع به كل الناس وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينفع آحاد الناس ويستضر به الأكثرون، بل أدلة القرآن كالماء ينفع به الصبي والرضيع والرجل...وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرة ويمرضون بها مرة أخرى ولا ينتفع بها الصبيان أصلا"[3]، ومن خلال هذا القول تبين لنا أن القرآن الكريم أكثر وسيلة حملت آليات الإقناع وكانت بذلك الشفاء للعقول والإنارة التي أبادت ظلمات الاختلاف.

2. 3): دلالة الحجاج في القرآن الكريم:

[1]. سعيد فاهم، معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة، السور السبع الطوال أنموذجا دراسة دلالية معجمية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2011/06/21، ص31.

[2]. المرجع نفسه، ص31.

[3]. سعيد فاهم: معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة، السور السبع الطوال أنموذجا دراسة دلالية معجمية، ص31-32 نقلا عن: أبو حامد الغزالي، إلجام العوام عن علم الكلام، صحيح وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1985م، ص81.

لو تتبعنا مواطن ذكر لفظ حجج لوجدناه قد تكرر كثيرا في القرآن الكريم...وبناءً عليه يمكن استجماع صورة عن مواضع المفهوم المقصود في الجدول التالي الذي ذيلناه بمجموعة من النتائج والتعليقات [1]:

[1]. المرجع نفسه، ص71.

الآيـــــــــــــــــــة		رقمها	السورة	رقمها	مكية	مدنية
من الفعل الماضي (حاجَّ)	(أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ)	258	البقرة	02		م
	(فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ)	61	آل عمران	03		م
	(فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِىَ لِلَّهِ)	20	آل عمران	03		م
	(هَـٰٓأَنتُمۡ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ)	66	آل عمران	03		م
	(وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ)	80	الأنعام	06	ك	
من الفعل المضارع (يحاجُّ)	(لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ)	76	البقرة	02		م
	(قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ)	139	البقرة	02		م
	(يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبۡرَٰهِيمَ)	65	آل عمران	03		م
	(فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌۚ)	66	آل عمران	03		م
	(أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ)	73	آل عمران	03		م
	(قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ)	80	الأنعام	06	ك	
	(وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ)	16	الشورى	42	ك	
من الفعل	(لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ ١٥٠)	150	البقرة	02		م

المضارع (يتحاجُّ)	(لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ)	165	النساء	04		م
	(وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ)	83	الأنعام	06	ك	
	(قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ)	149	الأنعام	06	ك	
	(لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُۖ)	15	الشورى	42	ك	
	(حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ)	16	الشورى	42	ك	
	(مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ)	25	الجاثية	45	ك	
	(وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ)	47	غافر	40	ك	

حَمَلَت كلمة حجج في القرآن الكريم معاني مختلفة وكل حسب مواطن استخدامها، حيث وردت في عشرين موضعا كما أنها حملت معنى جادَل ومعنى خاصَم واستعملت بمعنى العذر والتعليل والدليل والبرهان وفي الجدول الآتي توضيح لمعاني هذه الكلمة [1]:

المعنى	الآية	رقمها	السورة
يجادلون ويتخاصمون فيه	(يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ)	65	آل عمران

[1]. ينظر: هاني يوسف أبو غليون، الحجاج في النص القرآني، "سور الحواميم أنموذجا"، ص8.

	(هَـٰٓأَنتُمۡ هَـٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ٦٦)	66	آل عمران
	(قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ)	139	البقرة
	(لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ)	150	البقرة
يجادل	(فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ)	61	آل عمران
	(أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ)	73	آل عمران
	(وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ)	80	الأنعام
يخاصم	(أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ)	258	البقرة
	(فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ)	20	آل عمران
	(قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ)	76	البقرة
	(وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ	16	الشور

	حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ)		ى
	(لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ)	15	الشورى
	(وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ)	47	غافر
العذر والتعليل	(لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ)	165	النساء
	(مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٥)	25	الجاثية
الدليل والبرهان	(قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩)	149	الأنعام
	وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣)	83	الأنعام

ولو تتبعنا لفظة "حجج" لوجدناها لا تخرج عن معناها: الخصومة والعذر والتعليل والدليل وهي لم تخرج في استعمالها عن المعنى المعجمي.[1]

[1] . ينظر: هاني يوسف أبو غليون، الحجاج في النص القرآني، "سور الحواميم أنموذجا"، ص8.

إن البحث في لغة الحجاج القرآني بحث يَنِمُ عن تبعية البحوث بحيث أن حجاجية الحوار في القرآن الكريم بالغة المدى من حيث اللغة والبينة والمحاورة الحَقَّةُ لفهم القرآن الكريم، وكان هذا الحجاج الحواري في الذكر الحكيم له أبعاد كبرى في فهم عمق الأنا و الآخر في الخطاب القرآني، وتنوع هذا من خلال عدَّة سور نذكر منها –على سبيل المثال لا الحصر- أولى السّور السّبع الطوال ثم سورة يوسف والكهف...وغيرها في آي القرآن، فهو إذًا كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ...فهو الكلمة الفاصلة في كل ما يريده الله وما لا يريده، وهو الحقيقة الفاصلة الحاسمة التي لا يرقى إليها الشك (ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ۝٢) سورة البقرة، فهو الذي يجب أن ندرسه دراسة واعية لنجد فيه الوثيقة الرائعة من وثائق الحوار الديني الذي يُعَلِّقُ بكل قضايا العقيدة ابتداءً من فكرة وجود الله و وحدانيته إلى الأحكام الشرعية" [1].

ويعتبر القرآن الكريم- في حياة المسلمين والإسلام- المدرسة التي استلهم منها النبي ص وصحابته رضوان الله عليهم مختلف أساليب الحوار لغاية بُعث عليها وهدف سامٍ تَمَثل في دعوته إلى تحقيق هدف إفراد الله في العبادة.[2]

وقد وردت كلمة "حوار" في القرآن الكريم مرتين في سورة الكهف :(وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا۝٣٤) وفي الموضع الثاني (قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ

[1]. محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن قواعده أساليه معطياته، دار الملاك للطبع والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة5، 1996م، 1417ه، ص43.

[2]. المرجع نفسه، ص43.

يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴿٣٧﴾) ،ومرة واحدة في سورة المجادلة (قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴿١﴾) .

لقد حمل كتاب القرآن في مختلف آياته صورا حوارية منها ما ورد بالتصريح ومنها ما ورد مضمرا وبطرق وأساليب مباشرة وغير مباشرة، كما يعتبر الحوار أحد أهم أشكال الخطاب الحواري [1] .

4.1): دلالة المحاجة في القرآن الكريم:

لو تتبعنا دلالة محاجة في القرآن الكريم لوجدنا "ثمة فرق كبير بين الدلالة القرآنية (المحاجة) والدلالة الاصطلاحية(الحجاج)، فبتتبع المظان القرآنية التي وردت فيها مشتقات جذر (ح ج ج) الدالة على المحاجة ظهر أنها تدل على معاني مذمومة كالمراوغة والتكبر والتعنت، فيقصد بالمحاجة في الإستعمال القرآني: المخالفة الناشئة عن الجدال والخصومة بالباطل بقصد العناد"[2]، بهذا يتضح أنه هناك فرق واسع بين دلالتي المحاجة والحجاج في النصوص القرآنية وفي ذات السياق "ثمة شواهد وفيرة نذكر منها قول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ

[1]. ينظر: بوشعيب بن مسعود راغين، أستاذ اللسانيات، خصائص البنية الحوارية في محاورة موسى لفرعون وأسسها الحجاجية، جامعة طيبة المدينة المنورة، ص170.

[2]. آماد كاظم البروادي، المحاججة العقلية في برهنة حقائق القرآن، نقلا عن: ينظر لمهاية محفوظ ميارة، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، دراسة مصطلحية بحث منشور في مجمع اللغة العربية، مج 81، جزء3، دمشق، ص532.

إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴿٢٥٨﴾)

سورة البقرة، والذي حاج إبراهيم كان كافرا بدلالة السياق إذ اختتمت الآية بقول الله: (فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ) ,قول الله تعالى: (فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ) آل عمران 20،والآية: (وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ) الأنعام 80،والآية: (وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ) غافر 47، وهذه الآيات كلها واضحة الدلالة على إسناد المحاجة إلى الكفار.[1]

إذن وكخراج لما سبق قد حملت دلالة المحاجة في القرآن الكريم حسب السياق الواردة فيه دلالات الكفر، فهي -أي المحاجة- باستعمالاتها في القرآن عَنَت في مواضع متفرقة الجدَل والتخاصم...

5.2): دلائلية الحجاج في القرآن:

لقد ورد في القرآن الكريم عدة دلالات للحجاج فمنها ما دل "على الحوار والخطاب الذي يُراد به إبانة الحقائق الإيمانية وإبلاغها بالأساليب الإقناعية التي ترشد إلى الهداية باستمالة قلب المخاطب إلى الحق وبرهنتها بالحجج العقلية والأدلة الكونية المشاهدة والأقيسة المنطقية وإزالة الشكوك عنها وتُفَنِد الشبهات المشارة حولها.[2]، إذن من دلالات الحجاج القرآني الحوار والذي يهدف من

[1]. المرجع نفسه، ص27.

[2] . آماد كاظم البروادي، المحاججة العقلية في برهنة حقائق القرآن، نقلا عن: ينظر لمهاية محفوظ ميارة، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، دراسة مصطلحية، بحث منشور في مجمع اللغة العربية، مج 81، جزء3، دمشق، ص27.

خلاله إيصال القول الحق ويكون ذلك عبر أسلوب إقناعي يشكل السبيل إلى الهداية في الطرف الآخر المحاور مدعمًا ذلك بحجج مختلفة.

وفي مجرى القول ورد في القرآن الكريم صيغ مختلفة "لها علاقة بمفهوم الحجاج وهي: الجدل (المجادلة)، الخصام (المخاصمة)، والنزاع (المنازعة)، والحوار (المحاورة)، والمراء (المماراة) [1].

6.2): المبحث الثالث: تآلفية الأنا والآخر:

لقد حمل القرآن الكريم المسلمين على التآلف أو التعايش في مختلف آيه وسوره، وساق ذلك في صور وأشكال، فمنها ما ورد بشكل صريح جلي وآخر مضمر، سعيا منه لتحقيق غاية سامية وهي الإستقرار في عموم علاقات المسلمين، وكان ذلك في جملة من الأحكام؛ إما بطلب من الآمر -أي الله سبحانه وتعالى- المقتضي فعل المكلَّف، وإما بإذن واردٍ منه على وجه التخيير بين الإيجاب والعدم لا السلب، وإما بوضع لمنع، وذلك باعتبار المواطن والمواضع وحتى القصص التي وردا فيهم.

[1] . المرجع نفسه، ص27.

القرآن الكريم هو قول ربنا وكلامه وخطابه للعالمين، والخطاب كما هو معلوم بداهة يستوجب وجود مخاطِب ومخاطَب؛ هذا الوجود يستلزم لدى القارئ أو السامع تلقائيا حضور ثنائية الأنا والآخر. فقد صور لنا كتابنا العظيم هذا الزوج (الأنا/الآخر) في مواضيع شتى نذكر من بينها: العداوة/العِداء، الشراكة، الحجاج، الحوار، الوعظ، الألفة ...

صاغت آيات كتاب الله تعالى الألفة والتآلف على أشكال ونماذج معتبرة بما مضى من أحداث وقصص، بين ما هو كائن وما يجب أن يكون عليه في مجموع علاقات المسلم؛ علاقته بالوالدين، زوجه، إخوانه المسلمين.. وعلاقته مع الآخرين من غير المسلمين.

تآلفية المسلم مع والديه في القرآن الكريم:

كفل الإسلام المسلم في رَحِمِهِ وحققّ له ترابطا وتآلفا مع قرابته، وجاء في ذلك من الشواهد القرآنية ما يدل على عناية الرحمن بتوطيد العلاقة بين الأنا والآخر من منظور القرابة فقال الله تعالى: ﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا٣٦﴾ سورة النساء، "هذه السمة الأساسية في العقيدة الاسلامية، وفي المنهج الإسلامي، وفي دين الله الصحيح كله تبرز هنا في تصدير آية الإحسان إلى الوالدين والأقربين ،وغيرهم من طوائف الناس. بعبادة الله وتوحيده-كما أسلفنا- ثم في الجمع بين قرابة الوالدين وقرابة هذه الطوائف

من الناس، متصلة هذه وتلك بعبادة الله وتوحيده-كذلك- وذلك بعد أن جعل هذه العبادة وهذا التوحيد واسطة ما بين دستور الأسرة القريبة في نهاية الدرس الماضي، ودستور العلاقات الإنسانية الواسعة في هذا الدرس-على النحو الذي بيَّنا من قبل- ليصلها جميعا بتلك الآصرة التي تضم الأواصر جميعا وليوحد المصدر الذي يشرع ويوجه في شأن هذه الأواصر جميعا" [1].

تشكلت تآلفية "الأنا" المسلم و"الآخر" الوالدين وذلك من خلال الإحسان إليهما وبرهما، وارتبطت طاعتهما من طاعة الله وعبادته وكذا توحيده، إن هذه التآلفية التي نصها القرآن وأعلى من منزلتها لها أثر بليغ بين علاقة الأنا المسلم مع الآخر الوالدين وتنعكس هذه التآلفية المزدوجة لتتوسع داخل منبت الأسرة فالمجتمع مُشَكِلة بذلك نموذجا تآلفيا للأنا الفرد مع الآخر المجتمع.

وخلاصة القول فيما جاء عن ثنائية الأنا والآخر من حيث المفاهيم والتصورات ومدى تفاعل الطرفين فيما بينهما يمكن حصر هذه التصورات والمفاهيم في مجال التواصل الفاعل بين الجهتين، فلا يصِحُ التسليم لمركزية الأنا دون مراعاة أثر الآخر في تكوينها، كما لا يمكن الإيمان بالآخر مطلقا دون قيود، و لم يضبط ثنائية الأنا والآخر أي منهج من المناهج ضبطا محكما دون الوقوع في هوة الإنزلاق المعرفي إلا ما جاء به القرآن الكريم وحدده وضبطه ضمن مسارات كونية عالية، وقد تضمن الفصل اللاحق بعض التصورات القرآنية للأنا والآخر.

[1] السيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط01، 1972م، ج:5، مج1، ص659.

الفصـــــل الثانـي

الأنا والآخر في القرآن الكريم آيات منتخبات

- ✓ المبحث الأول: الأنا في القرآن الكريم
- ✓ المبحث الثاني: الآخر في القرآن الكريم
- ✓ المبحث الثالث: تفاعل الأنا والآخر في القرآن الكريم

توطئة:

يختلف مفهوم الأنا في القرآن الكريم حسب السياقات القرآنية، فيرد بمعاني العظمة والاجلال وتقديس ذات الله عزوجل، ويرد في مقامات أخرى بمعنى الكبر وتجاهل الآخر كما هو في الأنا الإبليسية التي وردت في الخطاب القرآني بمعنى الاستكبار، ونبذ القرآن الكريم كل المعاني التي تفرعت عنها كما هو في حوار سيدنا إبراهيم عليه السلام والنمرود والتي تسمى بالأنا النمرودية، وكما هو حاصل في خطابات سيدنا موسى عليه السلام لفرعون وهو ما يسمى بالأنا الفرعونية، والمتتبع لآي القرآن الكريم يلمس الأنا أوجها كثيرة، ولعل هذه المباحث ستضيئ بعض تجلياتها في القرآن الكريم.

ب. المبحث الأول: الأنا في القرآن الكريم:

طبع الإنسان ألوف لغيره وفي الوقت نفسه ينفر ممن لا ينسجم معه، وهذا خلاف طبعه كما هو مدون في سجله القديم: "الإنسان للإنسان عدو والإنسان للإنسان ذئب" فكيف تنشأ هذه العدوانية في الإنسان؟ وما هي منابتها الحقيقية التي جعلته ينحرف عن طبعه؟

لا يمكن ضبط استراتيجية وفق القوانين التي سنها البشر لأمثالهم من البشر، لأن القوانين نفسها تحمل صبغة الأنا وهذا ما جعلهم يعجزون كل العجز عن تفسير منشأ العدوانية فيه التي هي من الأنا، حتى جاءت الكتب السماوية لتفسير هذه الظاهرة، فالإنجيل والتوراة والزبور والصحف كلها دعت إلى فهم ذاتية الانسان بينما القرآن الكريم كان جامعا لنصوص هذه الكتب معيدا للبشرية نسقا

جديدا وقوانين تشريعية شاملة تفسر له شؤون ما مضى منها وما هو آت، وكان مما جاء به القرآن الكريم في ضبط مفهوم الأنا ما نلمسه في هذه العناصر:

1) الأنا بمعنى العظمة الإلهية:

نص القرآن الكريم عن صفات المحامد والإجلال للخالق وبين لهم أنه المعبود وحده لا شريك له من قول الله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ سورة طه، وردت هذه الآية في سياق ادعاء فرعون الربوبية وتكرارها في دلالة لإثبات عظمة الله عزوجل، فهو أحق أ، نصرف له العبادة عمن سواه، فهو الذي يأمر وينهى ولا يرد أمره أحد إلا بإذنه وكل آيات التوحيد إنما جاءت على هذا النسق الذي يثبت وحدانيته "فلفظ إنني...يتعلق بالذات الإلهية"[1]، والآية السابقة تضمنت الأنا المطلقة في ضمائر المتكلم والدلالة على علو ذات الإله سبحانه وتعالى، فهي القدرة المطلقة التي تثبت للعباد فضائل المعبود[2].فمن مظاهرها خلق الإنسان، والليل والنهار، والسماوات والأرض، وخلق الأنعام كما في قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ٧١﴾ سورة يس، وقول الله تعالى: ﴿أَوَ لَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٧٧﴾ سورة يس، فضمير الأنا في هذه الآيتين ورد مشددا، لأن سياقها كان في مقام التّدبر والدّعوى إلى التّفكير في مخلوقات الله "...فهذا المقطع يعرض قضية الألوهية والوحدانية...فآية الله هنا مشهودة منظورة بين أيديهم

[1]. سيد عمر، الأنا والآخر من منظور قرآني، العصر والمعرفة، بيروت، د ط، 2010م، ص138.

[2]. المرجع نفسه، ص137.

ليست غائبة ولا بعيدة ولا غامضة تحتاج إلى تدبر أو تفكير"[1]، ومادامت كذلك فهو أولى بالتعظيم سبحانه وتعالى، كما يرفق المولى عزوجل التّعظيم على سبيل الإتصال كما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ٨٠﴾ سورة الصافات، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ٨١﴾ سورة الصافات، وقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ١٣٦﴾ سورة الصافات، فهذه النّونات المتصلات في سورة الصّافات تكشف مدى عظمة الخالق وتكريم رسله له، فيثيب من آمن ويعاقب من كفر من أقوامهم.

2) الأنا بمعنى القدرة الإلهية:

أظهر القرآن الكريم في آيات عدة مظاهر القدرة، لتبيان مدى عجز خلقه وتحذيرهم وترهيبهم على ألاّ يشركوا به، آخذين أشدّ الحذر من غضب الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ٤٩﴾ سورة الحجر.

وردت هذه الآية موضحة أن الله غفور رحيم بعباده. "أي؛ خَبِّر يا رسولنا عبادنا المؤمنين الموحدين أنَّ ربهم غفور لهم إن عصوه وتابوا عن معصيتهم. ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ٥٠﴾ سورة الحجر، وينبئهم أيضا أن عذابي هو العذاب الأليم فليحذروا معصيتي بالشرك بي أو مخالفة

[1] . سيد قطب، في ظلال القرآن، ج23، دار الشروق، القاهرة، ط16، 1400ه، سورة يس، ص1977.

أوامري وغشيان محارمي [1]" وبهذا يبين لنا الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنه غفور بعباده رحيم بهم، وفي تكملة الآية أوضح سبحانه وتعالى أن عذابه هو عظيم كما وصف وأنه أليم، فلفظ "أن" في: الآية الكريمة بيَّن

قدرة الله وتنديد برهبة عذابه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ سورة الأنبياء.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ سورة طه.

فهذين الآيتين وغيرهم من الآيات امتثلت فيهما غاية التوحيد، فجميع من أُرسلوا من الرسل قد دعوا إلى توحيد الله عز وجل وطاعته، مذكرهم أن الساعة آتية لا محالة. "بدل مما يوحي دال على أنه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والأمر بالعبادة التي هي كمال العلم ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ سورة طه، خصها بالذكر وأفردها بالعلم للعلة التي أناط بها إقامتها، وهو تذكر المعبود وشغل القلب باللسان بذكره"[2] وبذلك كان تبليغ رسالات التوحيد وأمرهم بعبادة الله مبينا بذلك قدرة الله تعالى.

[1]. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مج: نهر الخير، المدينة المنورة، ط3، 1490هـ_1990م، ص1406.

[2]. البيضاوي ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمرو بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج4، ط-ج، د-ت، ص24.

3) الأنا بمعنى الذات الإنسانية:

يرتبط مفهوم الأنا في القرآن الكريم بدلالات كثيرة يتحكم فيها السياق القرآني، فلا يمكن تحديد ماهية الأنا إلا بتحديد سياقه المنطقي، فقد سبق القول في دلالات الأنا الإلهية، وقد خرجنا من هذا الباب تاركين مجالا واسعا يُبحث فيه وها هي ذي الصفحات تحدد الأنا البشري، فهو يتعلق بخطابات الأنبياء ومن عارضهم من الكفرة ومن الأمثلة التي نضربها ما يلي:

أ- **الأنا بمعنى التأله**: فهذا الأنا ينافس على مرتبة الألوهية ويرفض ويجحد وجود الله بالمطلق ولا يعترف إلا بذاته، وقد ذُكر في القرآن الكريم على صورتين، صورة الأنا النمرودي وصورة الأنا الفرعوني، فالنمرود في حجاجه لسيدنا إبراهيم عليه السلام أراد التأله وإبطال نبوة إبراهيم عليه السلام ولسان حاله يقول: (قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ) سورة البقرة.

فإذا تأملت الأنا وجدته نزاعا داخليا تمثل في الإحياء والإماتة بأنهما صادرة منه راجعة إليه، وسياقها القرآني ورد في قول الله تعالى: (أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡىِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِى بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴿٢٥٨﴾) سورة البقرة، فالله عزَّ وجل ذكر في هذه الآية الحجاجية أنه ملَّك النمرود ملكا حتى أصبح له خدم وتُبعٌ يتسلط عليهم بهذا الملك، ولما تجبر على العباد وطغى أراد مجاراة ربِّ العباد فقال أنا أحيي وأميت انتفاخا وتعظيما بذاته، فسميت

إدَّاك الأنا النمرودية، وهي امتحان من الله تعالى للعباد، وإذا تتبعت السياق الذي وردت فيه ألفيت سيدنا إبراهيم عليه السلام يقيم لهذا الأنا حدًا حتى بهتهُ [1].

أما الأنا الفرعوني لم تكن فترته قصيرة مرحلية، وإنما كانت مستمرة ضاربة في كل من اتبع نهج فرعون كِبرا وتسلطا على العباد، وفرعون زاد في معنى التأله فلم ينافس كما نافس النمرود، وإنما ألغى كل من اتخذ إلها غيره وتوعده بالعذاب الشديد سجنا وتعذيبا، وقد جاء في القرآن الكريم نص صريح يكشف عن هذه الأنا الفرعونية، قال الله تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾ سورة النازعات.

وكان قد قال قبلهما قال تعالى على لسانه في سورة القصص: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ سورة القصص 38، ففرعون طغى طغيانا كبيرا وكذَّب سيدنا موسى عليه السلام، فأمر ببناء صرح عظيم فجصصه وأقامه بالخشب وضرب المسامير وشيده أيَّما تشييد، وطاول السماء رفعة، حتى صرح بعد تشييده انتفاخا وكِبراً أنا ربكم الأعلى، ولما سمع بأن جبريل عليه السلام جاء لضرب صرحه صرف الأنا إلى أقل منه رتبة فقال الله تعالى: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ سورة القصص38. وكثيرا ما كان يخاطب بعبارة إله موسى، إلها غيري...[2]، وفرعون كان يتخبط بين إثبات الإله ونفسه، لكن الأنا الفرعوني

[1]. الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1430ه، ص147.

[2] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج30، ص1176.

محشو بالكبر يضمر عدوانية لا حدَّ لها للعباد، فكان حجاج موسى عليه السلام له موازيا لطبعه وذاتيته المتألهة، وهذه الكلمة قابلها جواب إلهي يحمل انتقاماً شديدا لفرعون، قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴿٢٥﴾﴾ سورة النازعات، أي: " انتقم الله منه انتقاما جعل به عبرة ونكالا لأمثاله من المتمردين في الدنيا ويوم القيامة بئس الرفد المرفود" [1].

ومن خلال هذين الموضعين القرآنيين يمكن رسم صورة للأنا المتأله تحت اسم الأنا النمرودية والفرعونية، ويقابلهما في الحكم الشرعي بطلان عمل هذه الأنا فهو، عند المفسرين كلهم كافرٌ بالإجماع لا شك في ذلك، لأن هذه الأنا تجاوزت حدود الذاتية وأرادت الهيمنة والتسلط على الخالق وهي مخلوقة، ومثله في ذلك ما حصل قبل هبوط آدم عليه السلام.

ففي القرآن الكريم نصوص كثيرة تدل على أنَّ الأصل في الأنا الفرعوني والأنا النمرودي إنما يرجع إلى إبليس الذي صدَّ عن سبيل الله تعالى،، فقد أُمر بالسجود و لم يسجد استكبارا وعناداً، قال الله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴿٧٦﴾﴾ سورة ص، فلما قالها إبليس أنا خير منه قالها من باب الحسد، فهذا الرد القبيح يصدر عن الطّبيعة التي تجردت من الخير كله، فعلوها وكبرياؤها يدلان على انتفاخ الأنا الإبليسي، لذا قابله الله عزَّ وجل بالطرد من رحمته، لأن هذه الأنا ما كان لها أن

[1] . ابن كثير عماد الدين أو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ج7، مكتبة الصفا، ط1، 1425ه، ص199.

تخرج من رحمة الله إلا لاتساع المقت والحسد فيها، فقال الله تعالى في سياق ذلك: (قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨) سورة ص، ومع هذا التهديد والطرد واللعنة إلا أن إبليس لم يخرج عن ذاته المتكبرة وتوعد العباد بالنفخ فيهم من مادته الإبليسية، قال الله تعالى: (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣) سورة ص، "...إنه يقسم بعزة الله ليغوينَّ جميع الآدميين، لا يستثني إلاّ من ليس له عليهم سلطان، لا تطوعا منه ولكن عجزًا عن بلوغ غايته..." [1]، كأنه يريد تقسيم هذه الأنا وإفراغ محتواها في نفوس بني آدم، لأن العداء كان لأبيهم فلا بد أن يحصل للذرية، ومن بني آدم من يحمل صبغة الأنا الإبليسي، قال الله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ) سورة الأنعام 112، فشياطين الجن والإنس أخذت من الأنا الإبليسي بعضا من الصفات، وكان للإنس منها حظ أوفر، وذلك لما سئل "مالك بن دينار" عنها قال: "إن شياطين الإنس أشدّ علي من شياطين الجن، لأني إذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانًا"[2]، فالإنس أخذوا الأنا الإبليسية فهي فيهم ظاهرة، فكلما تأثروا أثروا في غيرهم.

[1] . سيد قطب، في ظلال القرآن، ج23، سورة ص، ص3028.

[2] . الزمخشري، الكشاف، سورة الأنعام، الآية112.

فاستكبار إبليس ورد في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وكلها ذكِرت بتعاليه وامتناعه عن السجود، قال الله تعالى: (قَالَ يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾) سورة ص، والاستثناء حاصل بالأدلة ليبين مساحة الأنا والفرق بين الملائكة عليهم السلام وإبليس، وهو في قول الله تعالى: (فَسَجَدَ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾) سورة ص، فلما استثناه بيَّنَ فيما بعد سبب ذلك، وكان السبب كله الأنا المتكبرة [1]، والإنس تتبع انحرافات إبليس إلا فريقا من المؤمنين كما قال الله تعالى في سورة سبأ: (وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٠﴾) سورة سبأ 20، واتباعهم له يشمل أن يكونوا قد صبغوا بالأنا الإبليسية فلا مانع أن ترى الأنا الإبليسي ماثلا في غيره من الإنس، وفيه بيان وتنبيه اختص الله تعالى به المؤمنين ليحذروا مكائد الشيطان وألاَّ يتبعوا كِبره وتعاظمه لأنهم خضعوا وأسلموا لأوامر ربهم فلا تشملهم الأنا الإبليسية[2].

أما ما ورد في سورة الشعراء في قول الله تعالى: (فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَـٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾

[1] . ينظر: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج6، اليمامة للنشر والتوزيع، ط7، دمشق، ص84.

[2] . ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، د ط، تونس، 1984، سورة سبأ، الآية 20.

إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴿٩٨﴾)، وهم متبعوه من عصاة الإنس والجن، وفي ذلك يقول الرازي: "واعلم أن ظاهر ذلك أنَّ من عبد خاصم المعبود وخاطبه بهذا الكلام، فليس يخلوا حال الاصنام من وجهين، إما أ، يخلقها الله تعالى في الآخرة جمادًا يعذب بها أهل النار، وحينئذ لا يصح أن تخاطب ويجب حمل قولهم إذ نسويكم برب العالمين على أنه ليس بخطاب لهم، أو يقال إن الله تعالى يجيبها في النار...فالأقرب أنهم ذكروا ذلك لما رأوا صورها على وجه الاعتراف والخطأ العظيم وعلى وجه الندامة لا على سبيل المخاطبة" [1]، لذا قال الله تعالى على لسانهم: (وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴿٩٩﴾) سورة الشعراء، ومثله قول الله تعالى على لسانهم أيضا: (وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴿٦٧﴾) سورة الأحزاب.

ب– الأنا بمعنى العبودية والاستسلام (الأنا عند الأنبياء): يرد ضمير الأنا في القرآن الكريم إذا اختص بالأنبياء على صور كثيرة، فمرة يُقصد به دعاة التوحيد، فالنبي داعٍ إلى الله منذرٌ للمشركين، وفي أخرى يرد الأنا بمعنى المُبلغُ البشري عن رب العالمين.

ومما يغلب على الأنا النبوي لفظ "إنّي" الدالة على صدق أمانتهم في أداء الرسالة، فهم معصومون منزهون عن الأخطاء معتدلون في تعاملهم مع العباد إنسا وجنا،"...مبلغون ،أمناء ،منذرون ،مبشرون ،أصحاب صراط واحد وملة واحدة ،موحدون ،عابدون لله ،خائفون على أنفسهم من غضب الله، أصحاب دعوة عامة للبشر إلى التوحيد الخالص، دعاة للتسابق

[1] . فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر، لبنان، ط،1401ه، تفسير سورة الشعراء، الآية 98/95.

في الخيرات والعمل على المكانة عند الله، خائفون على أقوامهم من مغبة غضب الله عليهم في الدنيا والآخرة، مستعيذون بالله، معتصمون به..." [1]، وإذا كان أمرهم كذلك فهم أهل لتمثيل معنى العبودية، وتأمل قول الله تعالى على لسان سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩﴾ سورة آل عمران.

فأدب النبي عيسى عليه السلام مع الله مقترن بعبارة (بإذن الله)؛ حيث أورد مع الأنا مشيئة الله، فلم ينسب خلق الطير والنفخ فيه لنفسه، كما لم ينسب الإحياء لنفسه مع أن المعجزة تقتضي ذلك فقد روى الطبري في تفسيره ما نصه: "إنَّ سؤالهم كان على وجه التعنت فقالوا أُخلق لنا خفاشا واجعل فيه روحًا إن كنت صادقا في مقالتك، فأخذ طينا وجعل منه خفاشا ثم نفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض، وكان تسوية الطين والنفخ من عيسى عليه السلام والخلق من الله تعالى، كما أنَّ النفخ من جبريل عليه السلام والخلق من الله تعالى"[2]، وسيدنا عيسى عليه السلام نبي من أنبياء الله تعالى من أولي العزم، و لم يكن إلها كما

[1] . السيد عمر، الأنا والآخر من منظور قرآني، ج3، ص144.

[2] . القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج25، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دط، ص93، 1405ه، سورة آل عمران، الآية 49.

ذهب النصارى في تأليهه وإنما هو نبي عبد من عباد الله، قال الله تعالى على لسانه: (قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾) سورة مريم.

والمسيح عليه السلام بهذا التصوير القرآني هو عبدٌ نبيٌّ كسائر الأنبياء، لذا استهل كلامه في المهد بقوله (إني عبد الله) وهي إشارة منه إلى أنه عبدٌ ليزيل شبهة التأليه، فقد ولد"...وكان طفلا ثم صار شابا وكان يأكل ويشرب ويعرض له ما يعرض لسائر البشر...لأن الحاجة لكلام عيسى عليه السلام إنَّما كانت عند وقوع التهمة على مريم عليها السلام" [1]، وهذه النونات الواردة في الآية (إنّي، جعلني، أوصاني، يجعلني) هي الأنا المخبر عن سيدنا عيسى عليه السلام، وكلها تحمل معنى الامتثال لأوامر الله تعالى، فالله جعله نبيا وعبدا بارا بوالديه ونفى عنه كل ما يدنس عرضه وعرض أمه عليهما السلام.

ومما ورد في سورة المائدة يكشف بوضوح تمام الأدب مع الله، فبنوا إسرائيل اختبروه اختبارات كثيرة وتعنتوا في امتحانه وكان عيسى عليه السلام يلجأ إلى خالقه فيطلب المدد والتأييد وحادثة المائدة ماهي إلا من هذا القبيل وتأمل قول الله تعالى في حقهم وهو أعلم بحالهم:

[1] . الرازي فخر الدين، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ص 270، سورة مريم، الآية 33.

(إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١١٢ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ١١٣ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١١٥ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧) سورة المائدة،

فهذا الخطاب القرآني يحمل صفة الأنا عند سيدنا عيسى عليه السلام، فقد نزه الله عن الشريك فقال: (سبحانك) وبرأ نفسه من قول ذلك فقال: (ما يكون لي)، ثم عقب كلامه بتعظيم الله فقال: (إنك أنت علام الغيوب)، لأنَّ ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي إليه علم أحد، ثم عاد إلى الإقرار بالعبودية والامتثال للأوامر فكانت الأنا بمعنى الخضوع والانقياد لله

عزَّ وجل، فقال: (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به) فالنون من قوله (أمرتني) تدل على تمام التواضع والامتثال [1].

4) صور من الأنا الملائكي في القرآن الكريم:

يختلف الأنا الملائكي من حيث طبيعة العلاقة مع الله والعلاقة مع البشر، كونهم خلقوا من نور يأتمرون بأوامر الله ولا يعصونه في شيء، يسبحون بحمده الليل والنهار وهم رحمة من الله إذا أرادهم للرحمة وعذاب إذا أرادهم للعذاب، فإذا تأملت الأنا عند الروح الأمين جبريل عليه السلام دل ذلك على امتثاله لكل ما أمر الله به، فحينما بشر الله مريم بعيسى عليهما السلام وصف القرآن طبيعة الأنا عند الروح الأمين، قال الله تعالى على لسان جبريل عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴿١٩﴾﴾ سورة مريم، فوصف جبريل نفسه بأنه رسول وسماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما يقال للحبيب أنت روحي، وهذا مناسب لقول الله تعالى في سورة الواقعة: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴿٨٩﴾﴾، فلما كان من المقربين سماه روح على سبيل التقريب لكن جبريل عليه السلام ترك كل هذه القرابة بينه وبين الله تعالى ووصف نفسه بأنه رسول من الله تعالى تواضعا منه وإجلالا لمقام الله عزَّ وجل[2].

والملائكة عباد برره لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ويبلغون عن الله تعالى ويسبحونه ولا يفترون ولا يردون أمره إن أمر رحمة أو عذابا، والمتأمل للقرآن الكريم يلمس صفات

[1] . ينظر: الزمخشري، الكشاف، تفسير سورة المائدة، ص116.

[2] . ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص634، سورة مريم، الآية 19.

متعددة للملائكة كما هو مبين في عذاب الأقوام والقرون والأمم كقوم لوط وعاد وثمود، ففي سورة هود تظهر الملائكة في صورتين، صورة الأدب والرحمة لآل البيت، قال الله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾ سورة هود، وتظهر في صورة الرُسل المنذرة بالعذاب، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠﴾ سورة هود، فلما رأت الملائكة أثر الخوف عليه عرَّفت بالرسالة رحمة بنبي الله إبراهيم عليه السلام وتأدبا معه فكان الأنا يحمل دلالة إنزال السكينة على قلب إبراهيم عليه السلام لأنهم رأوا أثر الخوف والتغير في وجهه[1].

ومما ورد في الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "جاء جبريل عليه السلام ملكان معه، وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل، وقيل كانوا تسعة، وعن السُّدِّيّ أحد عشر (بالبشرى)، هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط..."[2].

أمّا ما جاء في قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾ وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾، والملائكة كانت موقنة أن الله سيخلق خلقا دونها في الإكرام فقالت ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقا أكرم عليه منا وإن كان فنحن أعلم منه لأنا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره، فدل هذا الأنا على أن

[1] . ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص490، سورة هود.

[2] . ينظر: المرجع نفسه، ص490.

الملائكة ظنت أنها أفضل الخلق فبين الله لها أن الذي خلق بعد سيكون أكرم خلق وهذا دليل على أنَّ الأنبياء أفضل من الملائكة، لذا قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴿٣١﴾﴾ سورة البقرة، فأظهر الله تعالى فضله عليهم بالعلم فأتى بمسميات مذكرها ومؤنثها ومما يعقل ومما لا يعقل فخلق الحيوان والجماد وعرضهم على الملائكة فأقرت الملائكة بالعجز فقالوا (سبحانك) على سبيل التنزيه والتشريف للمخلوق الآدمي[1]، فاستأنفت الملائكة بهذه العبارة على سبيل الجواب فنزهت الله عزَّ وجل واعترفت بالعجز والقصور عن معرفة الأسماء، كأنهم قالوا: (لا علم لنا إلا ما علمتنا) ولم تعلمنا الأسماء فكيف نعلمها ؟ وفيه إشعار بأن سؤالهم لم يكن إلا استفسارا إذ لا علم لهم إلا من طريق التعليم.

ومن جملته علمهم بحكمة الاستخلاف ...فالسؤال المترتب عليه هو سؤال المستفسر لا معترض وثناء عليه تعالى بما أفاض عليهم من غاية التواضع ومراعاة الأدب وترك الدعوة، ولهذا كله لم يقولوا لا علم لنا بالأسماء مع أنه كان مقتضى الظاهر من ذلك، ومن زعم عدم العصمة جعل هذا توبة والانصاف أنه يشبهها ولكن لا عن ذنب مخل للعصمة بل عن ترك أولى بالنسبة إلى علو شأنهم ورفعة مقامهم إذ اللائق بحالهم على العلات أن يتركوا الاستفسار...[2]، فلما استفسروا لم يورد الله عزَّ وجل

[1] . البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي معالم التنزيل، تح: محمد عبد الله النمر، دار طيبة للتوزيع والشر، الرياض، السعودية، د ط، 1409ه، ص80/79.

[2] . الآلوسي شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مج1، تح: ماهر حبوش، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1431، ص227.

سؤالهم إلا على سبيل العرض و التوضيح فمقامهم أعلى لتواضعهم وإقرارهم بالعجز، والنون في هذا المقام عبرت عن الأنا الملائكي تعبيرا يناسب مقامهم، فلم يقولوا لا علم لنا بالأسماء وإنما قالوا (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا)، فتم بذلك لهم علو المقام فكان بينهم وبين بني آدم اتصال في الرسالة كما هو الحال بين جبريل والرسل والأنبياء، فمقام الملائكة المرسلة إلى الرسل أعلى فكان جبريل عليه السلام أمين وحي الله تعالى ذا أدب مع سيدنا محمد ص لما يعلمه عنه من أخبار السماء، وإنما كان السجود الملائكي لآدم عليه السلام من باب سيدنا محمد ص لما كان نورا في ظهر آدم عليه السلام.

والملائكة لا يستكبرون، وإبليس استكبر فذكر على سبيل الطرد من رحمة الله فإذا قارنا بين الأنا الملائكي والأنا الإبليسي ألفينا فوارق كبيرة بين الفريقين فالأنا الملائكي فيه أدب وتواضع ولين، أما الأنا الإبليسي ففيه إعراض واستكبار وإباء فشملته اللعنة فألبس لباس الشيطنة بدل لباس الملكية؛ لذا وردت كلمة استكبر مقرونة بالفعل أبى ليتم الامتناع والأنفة فيتحقق بذلك الأنا الأكبر الذي لا يُعرَفُ إبليس إلا به وبه يعرف إبليس.

فأطلق لفظ إبليس على كل متكبر عاصٍ معاندٍ وإن كان إبليس من الملائكة فهو من الملائكة التي كانت تعمل الحُلي في الجنة تصوغه وتسويه "وقيل إن فرقة من الملائكة خلقوا من النار سُموا جنًّا لاستتارهم عن الأعين وإبليس كان منهم، والدليل عليه قول الله تعالى في سورة الصافات: ﴿وَجَعَلُواْ

بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا) الآية 158، وهو قولهم الملائكة بنات الله، ولما أخرجه الله من الملائكة جعل له ذرية..." [1]، وكان اسمه الحارث و بالسريانية عزازيل فلما عصا الله وبَلَسَ سُمي بهذه الصفة.

ولفظ شيطان وإبليس وطاغوت موزعة بين آي القرآن الكريم وكلها تشمل معنى العداوة والمكر والطغيان بين كل مستكبر ومن استسلم وأذعن وخضع لله، وهم أعداء الأنبياء كما قال الله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا) سورة الأنعام 112. فالآية الكريمة جمعت بين أولاد إبليس وأولاد آدم عليه السلام، فلفظ شيطان هنا وارد بمعنى الجن والإنس وبه قال الطبري وابن كثير وابن عطية في تفاسيرهم[2].

وإذا تتبعنا مواطن خطاب الله عزَّ وجل ووصفه إبليس نلمس تقلبات كثيرة بمعنى الأنا، وكلها محصورة في مفهوم الاستكبار والغواية، قال ابن منظور: "أبلس الرجل، قطع به وأبلس: سكت، وأبلس من رحمة الله يئس وندم ومنه سمي إبليس لأنه أُبلس من رحمة الله..."[3]، وبقيت هذه الأنا في ذرية إبليس وجنوده قال الله تعالى في سورة الشعراء: "(فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾). ومن ذريته اللاقس والولهان وهو المشرف على ماء الطهارة والوضوء،

[1] . ينظر: البغوي، معالم التنزيل، تح: محمد عبد الله النمر، ج1، ص82.

[2] . ينظر: وائل عمر علي بشير، الشيطان خطواته وغاياته –دراسة قرآنية موضوعية– إشراف: عبد السلام حمدان اللوح، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 1426ه، 2005م، ص13.

[3] . ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، ج6، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت، ص29.

والهفهاف هو الذي يضل الناس في البوادي والسحاري، والمطرشُ وهو مأمور على الأخبار كذبا وبهتانا، ومنه الغيلان وجمعه غول[1]. وكلهم عل شاكلة أبيهم ينشرون القبح والرذيلة والبغضاء وسوء الأخلاق بين عباد الله المؤمنين الطاهرين وهي غايتهم الأسمى، فما كانت مناظرة إبليس للملائكة إلا ليعلو كبرًا، فسأل الله أسئلة يحتج بها على أنه من نار وهم من طين فاستوى له تمام معاني الطرد من رحمة الله لأنه أقام الحجة على نفسه فأنظره الله إلى يوم يبعثون تأخيرا لعقابه واتخاذ الأنا الإبليسي عبرة لكل متكبر سلك مسالك إبليس، وهذا ما ورد في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ سورة الإسراء.

وما كان إنظار إبليس إلى يوم القيامة إلا لأمر أراده الله بعباده فامتحنهم بكفران إبليس واستكباره فمن تبعه كان من جنده الذين صبغوا بصبغته ومن خالفه كان من الذين قال فيهم الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ سورة الحجر.

[1] . ينظر: محمد ياقرحجتي، إبليس في القرآن والحديث، دار المجتبى، بيروت، لبنان، ط1، 1413ه، 1993م، ص29.

على سبيل التخصيص لأن المخلص ولي من أولياء الله داخل في حماية الله[1]، خارج عنه سلطان إبليس، لأن سلطانه يشمل كل من ذاق الأنا الإبليسي.

ب ب. المبحث الثاني: الآخر في القرآن الكريم:

يتسع معنى الآخر في القرآن الكريم فيشمل كلما هو مخلوق، وكل آلهة من دون الله، وقد ورد لفظ الآخر خمس عشر مرة و ورد سبع عشر مرة جمعا وقد يطلق الأنا ويقصد به الآخر وقد يطلق الآخر ويقصد به الأنا كما في قول الله تعالى: (ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ) سورة المؤمنون، الآية14، وكما ورد في قوله تعالى على لسان صاحبي السجن فقد عبر عن السجين الأول تعبيرا خال من الآخر ووصف السجين الثاني بالآخر قال الله تعالى: (يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴿٤١﴾) سورة يوسف ،وقال قبلها: (وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴿٣٦﴾) سورة يوسف، فورد الآخر بمعنى الثاني الذي كان في

[1] . الآلوسي، روح المعاني، تفسير سورة الإسراء، ص113.

السجن مع يوسف عليه السلام، فلما حدد للأول مجال رؤياه تبين للثاني وهو الآخر بأنه هالك لا مناص من ذلك وهذا ما أفتى به يوسف عليه السلام لما قال وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه وهو الخباز، فأتم يوسف عليه السلام لهما معنى الرؤية قالا له إنما كنا نلعب، فأجابهما (قضي الأمر) فحصل لهما بعد إذ ما أفتى به يوسف عليه السلام، فأصبح الأول من الناجين والثاني من الهالكين، ولكنه من تمام الأدب لم يحدد الطرف الهالك والطرف الناجي، قال تعالى واصفا مخاطبة يوسف عليه السلام للآخر قائلاً: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ سورة يوسف، الآية42،"ولعل التعبير به من باب إرخاء العنان والتأدب مع الله تعالى، فالتعبير على هذا بالوحي كما ينبني عليه قوله (قضي الأمر) إلخ،..." [1]، ويرد الآخر في القرآن الكريم بمعنى المماثلة والمزاوجة والمشابهة كما في قوله الله تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴿٥٨﴾﴾ سورة ص.

فالآخر يأخذ معنىً مشتركا بين فئتين متناظرتين للأول ما للثاني ..."ومن هذا القبيل مجيئ قول أخرى في الإشارة إلى: امرأة مقابل امرأة، فئة مقابل فئة، أعمال نفس إنسانية مقابل أعمال نفس إنسانية، مآرب مقابل مآرب..." [2]، وكلها متناظرة على نفس النسق كما في قوله تعالى مشيرا إلى شهادة المرأتين في الحكم مقابل رجل واحد كما ورد في آية المُـــدَاينة قول الله تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ سورة البقرة، الآية 282.

[1] . الآلوسي، روح المعاني، تفسير سورة يوسف، الآية 347.

[2] . عمر، الأنا والآخر من منظور قرآني، ص155.

والمشابهة بين الطرفين بمعنى الآخر وردت في مواضع كثيرة من القرآن، فهي على أضرُب منها ما يكون بمعنى النظير النسبي مستندين إلى كل مخلوق منقسم إلى زوجين حيث أن الآخر من شاكلة الأول فتجمعهما صفة المشاكلة والأزواج [1]، قال الله تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ۝٥٨﴾ سورة ص، (وآخر) ومذوقات آخر من شكل هذا المذوق من مثله في الشدة والفظاعة (أزواج) أجناس وقرئ (وآخر) أي وعذاب آخر أو مذوق آخر وأزواج صفة لآخر لأنه لا يجوز أن يكون ضروبا أو صفة للثلاثة وهي حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر...[2]، كما يورد القرآن الكريم تنوع لفظ الآخر في إشارات نذكر منها: فئة مقابل فئة...جيل لاحق لجيل سابق، أمة مكان أمة وكذا قوم مقابل قوم[3].

وفي التأشير الأخير يقول عزَّوجل في سورة الجمعة: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾، حيث يقول صاحب الظِلال في ذلك "يعني بقية من بقي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. وكلا القولين يدخل في مدلول الآيات. فهي تدل على آخرين غير العرب، وعلى آخرين غير الجيل الذي نزل فيه القرآن، وتشير إلى أن هذه الأمة موصولة الحلقات ممتدة في شعاب

[1] . المرجع نفسه، ص154.
[2] . الزمخشري، الكشاف، ج23، ص929.
[3] . المرجع نفسه، ص154-155.

الأرض وفي شعاب الزمان، تعمل هذه الأمانة الكبرى وتقوم على دين الله الأخير" [1]، فجاءت الآخر هنا نظيرا نسبيا.

فالقرآن الكريم يهتم بالآخر ويجعله محورا أساسيا في بناء القيم المقدسة وتحقيق التعايش الديني والفكري، قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ سورة الممتحنة، وحتى يتم هذا التحاور على أحسن وجه مهد القرآن الكريم لذلك لضبط مجال آخر قد يكون مفردا ومثنى وجمعا وهو كما يتضح في الترسيمة* الآتية:

[1] . ص

تكشف الترسيمة أوجه الآخر في القرآن الكريم مفردا ومثنى وجمعا، وهذا التقسيم يصور فقط جانبا

من جوانب حضور الآخر في القرآن الكريم لأنه من العجز كل العجز الإحاطة بدلالات ثنائية الأنا والآخر في القرآن الكريم إحاطة شاملة، لأن القرآن منفتح لما هو ماض وحاضر ومستقبل، ومعرفة الآخر تقربهم من الأنا فيه من الجهد العلمي والفكري ما يجعل الباحث في هذا الباب يفني كثيرا من ماء الحياة حتى يوضح صورته، كيف وهو متعلق بالقرآن الكريم؟!

والقرآن الكريم يعامل الآخر معاملة الأنا بل يجعل الأنا أحط منزلة من الآخر ليحقق له التواضع والقبول داخل المجتمع "فلا نتسامح مع أنفسنا ونظلم الآخر، بل نتحدث عن أخطائنا مثلما نتحدث عن أخطاء الآخر" [1]، وقد يطلق الآخر ويراد به الذات لأن الاهتمام بالآخر هو نفسه الاهتمام بالذات

[1]. ماجد حمود، إشكالية الأنا والآخر – نماذج روائية عربية – دار عالم المعرفة، الكويت، 2013م، ص16

كما جاء في حديث النبي ص: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[1]. فالإيمان لا يكتمل حتى يرجع المؤمن إلى هذا المبدأ النبوي.

فمن تمام الإيمان محبة الخير للآخرين بل جعلهم أفضل منزلة من النفس كما هو معروف في باب الإيثار وتفضيل الآخر على النفس، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةَ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ٩﴾ سورة الحشر. فالدار في هذه الآية هي يثرب وعُرِّفت من أجل تقريبها إلى المهاجرين حتى لكأنها منازلهم التي سكنوها بمكة. وفي ذكر الدار (وهي المدينة) مع ذكر الإيمان إيماءٌ إلى فضيلة المدينة بحيث جعل تبوأهم المدينة قرين الثناء عليهم بالإيمان ولعل هذا هو الذي عناه مالك –رحمه الله– فيما رواه عنه ابن وهب، قال: سمعت مالكا يذكر فضل المدينة على غيرها من الآفاق، فقال: إن المدينة تبوئت بالإيمان و الهجرة و إن غيرها من القرى افتتحت بالسيف، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [2] سورة الحشر(9).

فأهل المدينة يهتمون بالآخر الوافد إليهم، وكان من عادات العرب أن تتحرج ممن يهاجر إلى ديارهم لما يجدون في ذلك من مضايقة وهذا ما كان عند أهل المدينة على وجه الخلاف تماما فهم لا

[1]. البخاري محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مج1، ج2/1، ح1772/1، دار طوق النجاة، بولاق، مصر،1311ه، ص12.

[2]. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، الدار التونسية، ص91.

يجدون الحرج والضيق في صدورهم لأن المحبة تزيل كبرياء الأنا وحب الذات، ومما يزيد في قبول الآخر على أحسن وجه كثرة عدد المهاجرين ومع ذلك لا تستشرف نفوسهم مما حظي به المهاجرون فهذا هو الإيثار بعينه، ففي الصحيح أن النبي ص دعا الأنصار ليقطع لهم قطائع بنخل البحرين فقالوا: لا إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها [1].

وإذا تأملت معاني هذه الآية أدركت أن الآخر فيها مُفَضَلٌ على الأنا بل يجد صاحب الأنا قوة إيمانية كلما كان في خدمة الآخر فكان وصف القرآن لهم دقيقا فمع الخصاصة وقلة الحاجة وذات اليد إلا أنهم يهتمون بالغير، لذا كان في حاجة إليهم وهذا باب من الأبواب الإيمانية الذي تتماهى فيه ثنائية الأنا والآخر فلا يدرك المرء من هو الأنا ومن هو الآخر، كأنه يقول للآخر: أنت الأنا ويقول للأنا: أنت الآخر.

الحوار القرآني:

الحوار في القرآن الكريم موضوع من الخطابات الحجاجية كونه جاء كرد على خطابات ممنهجة وعقائد فاسدة، فالقرآن العظيم نموذج يزخر بحوارات الأنبياء في مختلف آيه وسوره نذكر منها –على سبيل المثال لا الحصر- نموذجا في سورة البقرة، فهذه السورة تعددت موضوعاتها وتنوعت حواراتها كونها خطابات تزخر بلغة الحجاج، والنموذج الآتي سيوضح كيفية التأثير على المخاطب "سواء كان فردا أو جماعة" وكيفية الإقناع باستراتيجيات وآليات متنوعة.

1- حوار موسى عليه السلام قومه:

[1]. المرجع نفسه، ص93.

تكرر حوار موسى عليه السلام مع بني إسرائيل في سورة البقرة في مواطن مختلفة مشلا بذلك محورا من محاور هذه السورة، ويطول الحوار مشكلا خطابا حجاجيا بين الله وبني إسرائيل وبين نبي الله موسى عليه السلام وقومه من منحى آخر، والمتمعن لهذه السورة يلحظ تماشي اسم السورة مع هذا الخط نسبة إلى بقرة بني إسرائيل... ومن الآيات التي حاور فيها موسى عليه السلام بني إسرائيل قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ) سورة البقرة(54).

يتضح لنا من سياق هذه الآية الكريمة "في إقبال (موسى) عليم لنداء، ونداؤه لهم: (يا قوم) إيذان بالتحنن عليهم وأنه منهم وهم منه، وهو لقبولهم الأمر بالتوبة بعد تقريعهم بأنهم (ظاهر أنفسهم) والباء في (باتخاذهم) وفي –الاتخاذ– هنا الاحتمالان السابقان هناك (فتوبوا إلى بارئكم). الفاء للسببية. [1] إذن فالغرض من النداء –نداء موسى عليه السلام – لقومه هو النصح و الإرشاد؛ إرشادهم بالتوبة إلى الله وشكره على نيلهم فرصة التوبة وذلك بعد ظلمهم أنفسهم باتخاذهم العجل إلها يعبد من دون الله فهذا الفعل: أي الظلم–هو عصيانهم وشركهم–... وبهذا يظهر لنا الرابط الحجاجي "حرف الفاء" في قوله: (فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ) –الفاء للسببية– لأن الظلم سبب التوبة، وقد عطفت ما بعدها على (إنكم ظلمتم) والتوافق في الخبرية والانشائية إنما

[1]. الآلوسي، روح المعاني، تفسير الآية 54، سورة البقرة ص259.

يشترط في العطف –بالواو– وتشعر عبارات بعض الناس أنها للسببية دون العطف... [1]والفاء هنا مفادها الترتيب والتعقيب؛ "فإن قلت: ما الفرق بين الفاآت قلت: الأولى للتسبيب لا غير لأن الظلم سبب التوبة. والثانية للتعقيب لأن المعنى: فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم، من قبل أن الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم، ويجوز أن يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى: فتوبوا فأتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم...[2] وبهذا فإن الفاء لا تخرج عن دلالتي الترتيب والتعقيب.

2- حوار إبراهيم عليه السلام لله تعالى:

تضمن هذا الجزء من المبحث حوار إبراهيم عليه السلام لله عز وجل محاولة في الاستفسار، قال تعالى: ﴿۞وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾ سورة البقرة.

حين اختبر الله عز وجل سيدنا إبراهيم عليه السلام بما شرعه الشارع الحكيم من تكاليف والتي أداها خليل الله وعملها "وكان اختبار الله تعالى ذكره إبراهيم، اختبارا بفرائض فرضها عليه، وأمر أمره به. وذلك هو "الكلمات" التي أوحاهن إليه، وكلفه العمل بهن، امتحانا منه واختبارا فأتمهن، كما أخبر الله جل ثناؤه عنه أنه فعل"[3] ومن شدة حرص سيدنا إبراهيم عليه السلام، سأل

[1]. المرجع نفسه، ص259.

[2]. الزمخشري، الكشاف، ج1، ص77.

[3]. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ص373.

الله مستخدما بذلك في قوله جملة خبرية تضمنت سؤالا (قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ) فجاء رد هذا في قول الله تعالى: (قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴿١٢٤﴾) "هذا خبر من الله جل ثناؤه عن أن الظالم لا يكون إماما يقتدي به أهل الخير. وهو من الله جل ثناؤه جواب لما يتوهم في مسألته إياه: أن يجعل من ذريته أئمة مثله... [1] فالخبر هنا والمتمثل في الرابط الحجاجي "لا" والذي في مفاده الجزم. وفي ذلك يقول الطبري في تفسيره "فأخبر أنه فاعل ذلك، إلا بمن كان من أهل الظلم منهم، فإنه غير مصيره كذلك، ولا جاعله في محل أوليائه عنده بالتكرمة بالإمامة "[2] ففي ذلك تلميح وإثبات الإمامة أنها للصالحين والطيعين.

3- حوار نوح عليه السلام قومه:

قال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴿٥٩﴾) سورة الأعراف.

السياق القصصي لهذه الآية جاء حواريا نسبيا، فتمثلت صورة المرسل في سيدنا نوح عليه السلام في حين المرسل إليه هم قومه، فرسالة نوح عليه السلام كانت في الدعوة لعبادة الله وحده، فقد حاورهم بأبلغ الحجج مؤكدا بذلك خوفه عليهم كي يصدقوا دعوته مرتسما بذلك الاقتناع بما بعث إليه ومعللا ذلك بخوفه عليهم من عذاب يوم القيامة، "فقد خاطب نوح قومه كلهم لأن الدعوة لا تكون إلا عامة لهم، وعبر في ندائهم بوصف القوم لتذكيرهم بآصرة القرابة، ليتحققوا أنه

[1]. المرجع نفسه، ص374.
[2]. المرجع نفسه، ص374.

ناصح ومريد خيرهم ومشفق عليهم، وأضاف (القوم) إلى ضميره للتحبيب والترقيق لاستجلاب اهتدائهم" [1] فمحاورته لقومه كانت من مظاهر ألفته لهم ومدته حيث لم يرد بهم أن تصبهم صائبة تودي بهم إلى الخسران وبدا ذلك في قوله:"(إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ) فقد أظهرت هذه الآية مظهرا حواريا احتوى على شيىء من التآلف في قالب حواري بين سيدنا نوح وقومه.

ب ب ب. المبحث الثالث: تفاعل الأنا والآخر في القرآن الكريم (حجاجية التفاعل):

في الحوارات القرآنية بين الأنا والآخر غالبا ما تأخذ الصورة الحوارية صورة حجاجية لأن النص القرآني مبني على البرهنة والدليل، فتأخذ هذه الثنائية مسارا إقناعيا وإمتاعيا في الوقت نفسه، ولا يتشكل التفاعل في صورته الحجاجية حتى يكون بين الطرفين تجاذبا حواري كما هو في سورة البقرة متمثلا في ثنائية الحجاج بين إبراهيم عليه السلام والنمرود.

حيث أخذ الأنا الإبراهيمي ردا قويا على الأنا النمرودي، وفي الحوار كلاهما آخر وكلاهما أنا، فمن يثبت الحجة القوية هو من يترأس هذه الثنائية، وفي هذا الصراع نحو الإقناع

[1]. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج8، ص188.

بدأ النمرود يعرض أدلة الألوهية بأنه يحيي ويميت، قال تعالى:(أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴿٢٥٨﴾) سورة البقرة. حيث نسب الإماتة والإحياء لنفسه مما جعل سيدنا إبراهيم عليه السلام يأتي بدليل قوي ملحوظ ليدمغ حجته الواهية، قال تعالى على لسان إبراهيم: (قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ) فعجز النمرود عن ذلك لتعذر كل السبل التي يرد بها على هذه الحجة، وفي هذا المقام صعّد الحجاج ونسّق أدلة خصمه، بعدما ألفينا حوارا تفاعليا حجاجيا، أثرى المشهد القرآني وأغنى القارئ أن يبعث في باطن النص القرآني فضلا عن تتبع أسراره الحجاجية، فكان التفاعل في ظاهر النص ماثلا لكل قارئ عابر لا مفسر، فكيف من بحث في حجاجية هذا المقطع الحواري الحجاجي بين الأنا والآخر، لامحالة أنه سيقف عند محاجة كاشفة لحماقة النمرود، الذي أتاه الله ملكا فزعم أنه به سيصير عظيما وإلها لزعمه أنه"... يقدر أن يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه إبراهيم في ذلك،..." [1].

[1]. البيضاوي ناصر الدين أبو الخير عبد الله، أنوار التنزيل وأسرار التأويل-تفسير البيضاوي-، ج:1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ج، د ت، ص155.

وهذا الحوار الحجاجي الوارد في هذه الآيات فيه تفاعل بين الأنا والآخر لم يتحدد فيه الأنا و الأخر لأن الخطاب أورد لفظ الأنا بمعنى النمرود (أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ)، وأورد الآخر (إبراهيم عليه السلام)" (أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ)، ثم عكس الثنائية فأتى بالأنا الإبراهيمي في ما بعد قال:(وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيۡفَ تُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَ لَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِىۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ۝٢٦٠) ثم ذكر الأنا النمرودي على صفة الآخر (حاجّ) فالضمير يعود على النمرود، فكان التفاعل بين الطرفين على سبيل المساواة بينهما ثن بإظهار المنتصر بحجته على الآخر والآيات التي تلت هذا النص بينت ووضحت ذلك، قال تعالى: (وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيۡفَ تُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ) سورة البقرة، حيث رجع إبراهيم إلى الأنا النمرودي ليبطله من حيث ظن النمرود أنه به إله، فإبراهيم عليه السلام مؤمن بأن الله يحيي ويميت، فأجابه الله عن سؤاله ليزداد تبصرة واستدلالا فقد يسأل عن مثل هذا السؤال بصورة أخرى فيكون حجاجه أقوى من الأول لأن حجاج العيان أقوى من حجاج القول، والحجة الفعلية تبهت أكثر من الحجة القولية، قال تعالى: (قَالَ أَوَ لَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِىۖ) "أي: بلى آمنت وسألت ذلك لأزيد بصيرة وسكون قلب بمظامة العيان إلى الوحي أو الاستدلال (قَالَ فَخُذۡ

أَرۡبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيۡرِ) قيل طاووسا وديكا وغرابا وحمامة، ومنه من ذكر النسر بدل الحمامة، وفيه إيماء إلى أن إحياء النفس بالحياة الأبدية إنما يتأتى بإماتة حب الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطاووس، والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الأمل المتصف بهما الغراب، والترفع والمسارعة إلى الهوى الموسوم بهما الحمام، وإنما خص الطير لـأنه أقرب إلى الإنسان..."[1] وفي صفاته الخلقية، وهذا الشبه على سبيل إقامة حجة من نفس الجنس الحجاجي الذي أتى به النمرود والذي تمثل في الإحياء والإماتة، فَعَلاَ حجاج إبراهيم عليه السلام على حجاج النمرود وسقط الأنا المدعي الألوهية وارتفع الأنا المتواضع الخاضع لأوامر الله عز وجل فكان هذا التفاعل على سبيل التعاون.

تآلفية الأنا والآخر في القرآن الكريم:

1. تآلفية الأنا مع الآخر (ذوو القربى واليتامى والمساكين):

تبرز آيات الإحسان للغير في القرآن الكريم في آيات متنوعة ذكرها لها الله سبحانه وتعالى، مطالبين بتشكيل آصرة التآلف والمحبة والمودة إلى ذوي القربى واليتامى والمساكين، قال الله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي

[1]. البيضاوي، تفسير البيضاوي، ص157.

ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴿١٧٧﴾) سورة البقرة ،"إن التوجيه إلى البر يبدأ بذوي القربى-قرابة خاصة أو عامة- ثم يمتد منها ويتسع نطاقه من محورها، لبقية المحتاجين إلى الرعاية من الأسرة الإنسانية الكبيرة.. فعاطفة الرحمة، ووجدان المشاركة يبدآن أولا في البيت.. والنفس كذلك أميل إلى البدء بالآقربين-فطرة وطبعا- ولا بأس من ذلك ولا ضير، مادامت توجه دائما إلى التوسع في الدائرة من هذه النقطة ومن هذا المحور[1]، فامتداد البرّ بالوالدين وصولا إلى ذوي القرابة (صلة الرحم)؛ قربة الأخ مع أخيه وغيرها من قرابات الأواصر... فنجد أن هذا الإحسان يكلفهم- اليتامى والمساكين- ويرعاهم أيما رعاية محققة بذلك تآلفية أنا القرابة بالآخر المتهيء في صور من شاكلة: ذوي القربى، اليتامى وكذا المساكين... فمن مظاهر الإحسان إليهم: التواصل معهم أو الاتصال بهم- هذان المثالان على سبيل الذكر لا الحصر- كما تتمظهر صفات الإحسان إلى اليتامى على شكل الصدقة... وإلى الجار " الجار ذي القربى" فتتشكل صور البرّ إليه في غضنا لأبصارنا عن حرمته وكذا حرمات الغير فهي صفة الأتقياء. وكذا إفشاء السلام والسؤال عن حاله والاستئناس به فكل هذه الصفات والمحاسن من مظاهر

[1]. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1982، ج5، مج: 1، ص660.

المحبة والألفة التي حث عليها قرآننا الكريم وهدى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إذ بذلك تتأسس تآلفيتنا بين الأنا والآخر "الجار" وكذا المسكين...

2. تآلفية النبي ص مع قبيلة قريش:

تعددت مشاهد التآلف في القرآن الكريم فمن بينها تلك التي أوردها الله تعالى فيما جرى بين النبي **ص** وبعض من كفار قريش مخاطبهم ومذكرهم بالهيأة أو الحال التي لقيهم فيها.. إلى أن أعزهم الله بهذا الدين القيم وبالنبي الأمي عليه الصلاة والسلام واسما لنا بذلك أسمى صور التآلف معهم، قال تعالى: (ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾) الشورى.

"أي، قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش: لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالاً تُعطُونِيه وإنما أطلب منكم أن تَكُفُوا شركم عني، وتذروني أُبَلِغُ رسالات ربي، إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة. [1]، لا أسألكم هو حديث عن النفس والخطاب موجه لمحمد صلى الله عليه وسلم وبذلك تمظهرت الأنا في: قل يا محمد "أنا" لا أسألكم... فهذه الجملة المشهدية التي تولد منها هذا الخطاب الموجه إلى النبي عليه الصلاة والسلام إلى

[1]. ابن كثير الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار بن حزم، بيروت، لبنان، 1460ه_2000م، ص1667.

هؤلاء المشركين من كفار قريش والذين امتثلت فيهم صورة الآخر المخاطب... فموطن القرابة "الألفة" بين النبي وقريش تجلى في النص القرآني.

وفي ذات السياق" قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا مالك ابن إسماعيل، حدثنا عبد السلام، حدثني يزيد بن أبي زياد، عن قسم، عن ابن عباس قال: قالت الأنصار: فعلنا وفعلنا، وكأنهم فخروا، فقال ابن عباس أو العباس، شك عبد السلام لنا الفضل عليكم، فبلغ ذلك رسول الله ص فأتاهم في مجالسهم فقال: يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي؟" قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي... قال: فمازال يقول حتى جثوا على الركب، وقالوا: أمولنا في أيدينا لله ورسوله [1]، ومن تجليات الألفة في هذا السياق هو مساءلة النبي ص للأنصار وتذكيرهم كيف كانوا قبل مجيء الإسلام وتبليغ الرسالة فخرجوا من أغوار الظلم والظلام إلى سُبُل النّور والعزة متآلفين متحابين في ضوء معتقد إسلامي يدعوا ويحث على نشر المحبة والألفة.

3. تآلفية الأنصار (الأوس والخزرج):

احتوى القرآن الكريم في العديد من آيه في مختلف المواضع صورا من صور المحبة والألفة بين الناس. هذه الصفة الأخلاقية التي لم تكن كائنة إلا بعد مجيء الإسلام.

[1]. المرجع نفسه، ص1668.

وفي بحثنا هذا عن مظاهر التآلف القرآني تتبعنا بعضا من التفاسير وكيفية تشكل صورة الأنا والآخر تآلفيا، فنجده في كتاب صاحب الظلال وتفسيره لآية التآلف كما وردت في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ سورة الأنفال.

"بعد أن كانت قلوبهم شتى وعداوتهم جاهرة وبأسهم بينهم شديدا. سواء كان المقصود هم الأوس والخزرج-وهم الأنصار- فقد كان بينهم في الجاهلية من الثارات والدماء والمنازعات ما يستحيل معه الالتئام فضلا على هذا الإخاء الذي لم تعرف له الأرض نظيرا ولا شبيها... أو كان المقصود هم المهاجرون، وهم كانوا كالأنصار في الجاهلية. أو كان الجميع مقصودين، فقد كانت هذه هي حالة عرب الجزيرة جميعا" [1]، فبعد أن كانت قلوبهم شتى أي متنافرة وطغيان صفات الجاهلية الأولى فيهم من عداوة وبغض وعنصرية وغيرها أي؛ الأوس والخزرج فيهما تشكلت لنا ثنائية الانا والآخر، فالأنا الأوسي يرمي بكل عداوة للآخر الخزرجي وعلى النقيض من الأنا الخزرجي يقذف الآخر الأوسي ويبغضه ويكنّ له الكره وينازعه فيما لا ينازع لأجله وهذه أشكال من الأشكال التي كانت راسخة في التصور الجاهلي القبلي، إلى أن جاء الإسلام موحدا لكل الشعوب، مخرج الناس من الظلمات إلى النور وذلك عبر شريعته السمحاء وبواسطة هدي النبي محمد ص العلياء، فقد أبغض كل أشكال التنافر والتباعد وأقصى التعصب

[1]. سيد قطب، في ظلال القرآن، ص1518.

القبلي وألغاه، وفي النظير دعاهم إلى نصرة دين الله الحق حيث الأخوة والتآخي والمودة والمحبة أبرز ما ميزت هذا الدين القيم.

لقد كان لهذه الرسالة الإسلامية لأثر كبير ووقع مشهود في نفوس البشر على رغم الاختلاف، اختلاف ألوانهم وأعراقهم وحتى انتماءاتهم، حيث برزت خصال التآلف مع (الغير/الآخر) وصور التآخي بين المسلمين جميعهم "ولقد وقعت المعجزة التي لا يقدر عليها إلا الله، والتي لا تصيغها إلا هذه العقيدة، فاستحالت هذه القلوب النافرة وهذه الطباع الشموس، إلى هذه الكتلة المتراصة المتآخية الذلول بعضها البعض، المحب بعضها البعض، المتآلف بعضها مع البعض بهذا المستوى الذي لم يعرفه التاريخ، والذي تتمثل فيه حياة الجنة وسمتها البارزة-أو يمهد لحياة الجنة وسمتها البارزة...- [1]". "فاستحالت هذه القلوب النافرة" أي؛ قلوب الأوسيين والخزرجيين هذا التآلف المعجز بين الأنا الأوسي والآخر الخزرجي هو معجزة وسابقة تاريخية حط معالمها قرآننا الكريم-كما سبق وأشرنا في ذلك- وهو بحق معجزة ربانية إذ من التنافر وعداوة القتل إلى التآخي والتحاب والإيثار... مشكلين بذلك صورة تآلفية شهد لها التاريخ ورسمها القرآن كسابقة تاريخية في الكون.

رسم القرآن الكريم مجالات الأنا والآخر ضمن سياقاته المختلفة، وبيَّن طبيعة كل طرف ضمن مجاله النصي وحدَّ حدوده وبين أثره، فاعتبر الأنا عموما لفظا دالاً على العظمة الإلهية التي لا يشارك فيها مخلوق من المخلوقات الله عزَّ وجل، وحذَّر من اتخاذ مفهوم الأنا في غير هذا

[1]. سيد قطب، في ظلال القرآن، ص1548.

الباب إلا إذا تبين من خلال السياق أنه يدل على التواضع وحسن الأدب كما بيَّنا سلفا في صفة الأنا الفرعوني والنمرودي والإبليسي وتطاولهم على الأنا الإلهي، كما حثَّ القرآن الكريم على وجوب الإهتمام بالآخر واعتباره محور التفاعل في هذه الثنائية كما ظهر ذلك في إهتمام المسلمين بغيرهم أكثر من أنفسهم تحت ما يسمى بـ" إيثار الآخر".

خاتمـــــــة

رست سفينة البحث وكنا لا نرجو رسوها لما في البحث من متعة قرآنية، فلا يخرج الباحث من قضية من قضاياه حتى يجد ما يفتح لذوقه وفكره في هذا الباب ما يتركه يزيد في توسعه وتتبع جمالياته وتمظهرات صوره المختلفة، فثنائية الأنا والآخر في القرآن الكريم لا يمكن حصرها في موضوع ذا صفحات معدودات وإنما يحتاج إلى أطراف كثيرة تساهم بكل ما تملك من آليات البحث ومختلف الفنون والعلوم الأدبية والثقافية واللغوية والفلسفية والفكرية لأن الموضوع يشمل دوائر كثيرة في حقل المعرفة وقد يصل إلى العلاقات الكونية أو يتجاوزها إلى ما لا يعلم سره إلا الله، وقد حاولنا رصد بعض النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث وهي كما يلي:

1- ثنائية الأنا والآخر في القرآن الكريم تختلف كل الاختلاف عن أي قراءة أدبية أو فلسفية في مجال خارج القرآن الكريم.

2- يهتم القرآن الكريم بالآخر ويحاول أن يجعله مركزا في تحسين العلاقات بين الناس بناء على قول الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنَا﴾.

3- كل (أنا) في القرآن الكريم لا يمكن أن نحدده إلا من سياقه الذي ورد فيه فقد يطلق الأنا ويقصد به الآخر وقد يطلق الأنا ويقصد به الاستكبار وقد يطلق الأنا ويقصد به العظمة وقد يطلق الأنا ويقصد به الغرور...

4- ثنائية الأنا والآخر لا يمكن تحديد مجالاتها لما لها من اتساع في الثقافات العربية والثقافات الأجنبية لأن النص القرآني خطاب لكل الأمم فيه نبأ من سبق ونبأ من لحق.

5-يهتم القرآن الكريم بالديانات السماوية ولا يكره من يدين بها أن يدين بالإسلام في حين يهتم به كآخر ليجذبه إلى سماحة الإسلام وسعة الرحمة الإلهية.

ومما نوصي به في نهاية هذا البحث وجوب إعادة النظر في مثل هذه المواضيع التي تتعلق بالدراسات القرآنية مع الحرص على أن يكون الطالب ذا زاد كبير ليطرق الموضوعات القرآنية ضمن الدراسات الأكاديمية، لأن هذا الباب مما يغفل عنه كثير من الباحثين لا سيَّما المبتدئين في مجال البحث القرآني ضمن الثقافات والآداب المقارنة. ولا ندعي أننا قد أحطنا بجميع جوانب هذا الموضوع؛ إذ لا يمكن حصر مادة قرآنية في صفحات، فكل بحث علقت دراسته بما هو قرآني كان بحثا منفتحا على بحوث كثيرة، بل تتفجر ينابيع الدراسات القرآنية من ينبوع واحد إذا كان قرآنيا.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

المصادر:

1. **إبراهيم** مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا، ط2، 1472.
2. **الآلوسي** شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: ماهر حبوش، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1431.
3. **بطرس** البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، (د، ط)، 1987.
4.
5. **البيضاوي** ناصر الدين أبو الخير عبد الله، أنوار التنزيل وأسرار التأويل-تفسير البيضاوي-، ج:1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ج، د ت.
6. **أبو بكر** جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مج:1، نهر الخير، المدينة المنورة، ط3، 1490هـ_1990م.
7. **البخاري** محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مج1، ج2/1، ح1772/1، دار طوق النجاة، بولاق، مصر،1311ه.
8. **البغوي** أبو محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي معالم التنزيل، تح: محمد عبد الله النمر، دار طيبة للتوزيع والشر، الرياض، السعودية، د ط، 1409ه.

9. الشريف **الجرجاني**، معجم التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، د ط، د ت.

10. أبو القاسم جار الله **الزمخشري**، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1430ه.

11.

12. **الطاهر** بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، د ط، تونس، 1984، سورة سبأ، الآية 20.

13. **الطبري**، جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

14. عماد الدين أو الفداء إسماعيل **بن كثير**، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا، ط1، 1425ه.

15. **لويس** معروف، المنجد في اللغة والعلوم، دار المشرق والمكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، ط3، 1991.

16. **محي** الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، اليمامة للنشر والتوزيع، ط7، دمشق.

17. **محمد** ياقرحجتي، إبليس في القرآن والحديث، دار المجتبى، بيروت، لبنان، ط1، 1413ه، 1993م.

18. ابن **منظور**، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مادة (أن، أنّى)، ط4، 2000.

19. ابن **منظور**، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت.

20. **سيد** قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط01، 1972م، ج:5، مج1.

21. سيغموند **فرويد**، الأنا والهو.

22. **القرطبي** أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ط، 1405ه، سورة آل عمران، الآية 49.

23. فخر الدين **الرازي**، مفاتيح الغيب، دار الفكر، لبنان، ط،1401ه، تفسير سورة الشعراء، الآية 98/95.

المراجع:

1. **آماد** كاظم البروادي، المحاججة العقلية في برهنة حقائق القرآن.

2. د. **أحمد** ياسين السليماني، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط1 ،2009.

3. **أنس** شكشك، أسرار الشخصية وبناء الذات.

4. **بوشعيب** بن مسعود راغين، خصائص البنية الحوارية في محاورة موسى لفرعون وأسسها الحجاجية.

5. **بسام** داود عجك، الحوار الاسلامي المسيحي، دار قتيبة، ط1 ،1418ه/1998م.

6. المعتصم بالله **البغدادي**، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1985م.

7. **هاني** يوسف أبو غليون، الحجاج في النص القرآني، "سور الحواميم أنموذجا".

8. زكريا إبراهيم، مشكلة الإنسان، دار مصر للطباعة.

9. **يحي** بن محمد حسن بن أحمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1414ه، 1994م.

10. **ماجد** حمود، إشكالية الأنا والآخر – نماذج روائية عربية – دار عالم المعرفة، الكويت، 2013م.

11. د. **مبروك** الشيباني المنصوري، صناعة الآخر في الفكر الغربي المعاصر من الاستشراق إلى الاسلاموفوبيا.

12. **محمد** حسين فضل الله، الحوار في القرآن قواعده أساليبه معطياته، دار الملاك للطبع والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة5، 1996م، 1417ه.

13. **محمد عيسوي** عبد الرحمن، إتجاهات جديدة في علم النفس الحديث.

14. **مرفت** عبد ربه عايش مقبل، التوافق النفسي وعلاقته بقوة الأنا وبعض المتغيرات لدى مرضى السكري في قطاع غزة، الجامعة الاسلامية، غزة ،1431ه 2010م.

15. د. **نادر** كاظم، تمثيلات الآخر (صورة السود في أكتيفيل) العربي الوسيط.

16. **سيد** عمر، الأنا والآخر من منظور قرآني، دار الفكر، دمشق، ط1 ،1429ه -2008م.

17. **سعيد** فاهم، معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة، السور السبع الطوال أنموذجا دراسة دلالية معجمية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2011/06/21.

18. **عبد الله** بن حسين الموجان، الحوار في الاسلام، مركز الكون، مكة المكرمة، ط1 ،1427ه/2006م.

19. **د. عبد المنعم** حنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2000م.

20. **علام** عمرو عبد العلي، الأنا والآخر الشخصية العربية والشخصية الاسرائيلية في الفكر الإسلامي.

21. **العلواني** رقية وآخرون، مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، دمشق برامكة، دار الفكر، الطبعة الاولى 2008.

22. **علوي** حافظ إسماعيلي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج1، الحجاج: حدود وتعريفات، عالم الكتب الحديث، إربد. الأردن ،2010م.

23. **فوز** سهيل كامل نزَّال، لغة الحوار في القرآن الكريم، دار الجوهرة، عمان، الطبعة 1 ،1424ه 2003م.

24. **صالح** إبراهيم نجم، جدلية الأنا والآخر في الشعر الصوفي على امتداد القرنين السادس والسابع الهجريين، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية، السنة 2013/2012.

25. **شهباني** إسماعيل، صورة الأنا وعلاقته بالآخر في ظل تعايش الحضارات (رواية اليهودي الحالي)، لليمني علي المقري أنموذجا، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج11، ع:1، السنة:2022م.

المجلات:

1. **أحلام فاتح ماهي**، واقع الأنا والآخر في الخطاب الروائي ما بعد الكولونيالي، مجلة استراتيجيات ضمان الجودة، المجلد1، العدد 1، أكتوبر 2020، ص10. نقلا عن: عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة.
2. **هجيره بوسكين**، الآخر في الخطاب النقدي المقارن، مجلة المدونة، العدد الخامس، ربيع الأول 1437 ه الموافق ل: جانفي 2016م.
3. **العبيدي طارق زياد محمد**، الآخر مفهوما ثقافيا في الدراسات الثقافية، مجلة الباحث، مج 13، العدد1 ،2021.
4. **فارس نويرة**، إشكالية الأنا والآخر وعلاقتهما بحوار الحضارات، قراءة في طبيعة العلاقة، **مجلة** الفكر المتوسطي للبحوث والدراسات في حوار الديانات والحضارات، المجلة07، العدد2، سبتمبر2018.

الرسائل الجامعية:

1. **آية** عبد الله بيك "الشيخ عيسى"، جماليات الذات والآخر في ثلاثية الرافعي، إشراف: أ. د فايز القرعان، جامعة اليرموك، كلية الآداب، 15/ربيع الأول/1440ه، 24/كانون الأول/2018، رسالة ماجستير.

2. **وائل** عمر علي بشير، الشيطان خطواته وغاياته –دراسة قرآنية موضوعية– إشراف: عبد السلام حمدان اللوح، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 1426ه، 2005م.

3. **العزوني** فتيحة، مستويات حضور الآخر في الأدب الجزائري القديم، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة.

فهرس

المحتويات

المحتويات

العناوين	الصفحة
مقدمة	أ
الفصل الأول: الأنا والآخر مفاهيم وتصورات	
توطئة	6
المبحث الأول: مفهوم الأنا والآخر	7
مفهوم الأنا	7
لغة	7
اصطلاحا	8
الأنا من منظور نفسي	8
الهو	9
الأنا	9
الأنا الأعلى	9
الأنا في علم الاجتماع	9
الأنا من منظور فلسفي	10
الأنا عند العرب	12
النظرة الصوفية للأنا	13
الأنا من منظور إسلامي	15
مفهوم الآخر	17
لغة	17
اصطلاحا	17
الآخر من منظور فلسفي	17
الآخر	19

الآخر في الثقافة العربية الإسلامية	19
الآخر في الوسط الثقافي	21
النظرة الإسلامية المثالية للآخر	25
المبحث الثاني: صور الأنا والآخر في الكتب السماوية	27
في التوراة	27
في التلمود	27
في الإسلام	29
المبحث الثالث: تفاعل الأنا والآخر	31
حوارية الأنا والآخر في القرآن الكريم	31
لغة	31
اصطلاحا	31
الحوار القرآني	32
نماذج من الحوار في القرآن الكريم	33
حوار الله تعالى بينه وبين إبليس	33
حوار إبراهيم عليه السلام مع النمرود	34
حوار موسى عليه السلام مع فرعون	35
حجاجية الأنا والآخر في القرآن الكريم	36
تعريف الحجاج	36
لغة	36
اصطلاحا	36
الحجاج القرآني	37
دلالة الحجاج في القرآن الكريم	44
دلالة المحاجة في القرآن الكريم	38

دلائلية الحجاج في القرآن الكريم	45
تآلفية الأنا والآخر	46
تآلفية المسلم مع والديه في القرآن الكريم	46
الفصل الثاني: الأنا والآخر في القرآن الكريم – آيات منتخبات	
توطئة	50
المبحث الأول: الأنا في القرآن الكريم	50
الأنا بمعنى العظمة الإلهية	51
الأنا بمعنى القدرة الإلهية	52
الأنا بمعنى الذات الإنسانية	53
الأنا بمعنى التأله	54
الأنا بمعنى العبودية والاستسلام (الأنا عند الأنبياء)	59
صور من الأنا الملائكي	63
المبحث الثاني: الآخر في القرآن الكريم	69
الحوار القرآني	75
حوار موسى عليه السلام مع قومه	75
حوار إبراهيم عليه السلام لله تعالى	77
حوار نوح عليه السلام مع قومه	78
المبحث الثالث: تفاعل الأنا والآخر (حجاجية التفاعل)	79
تآلفية الأنا والآخر في القرآن الكريم	82
تآلفية الأنا مع الآخر (ذوو القربى واليتامى والمساكين)	82
تآلفية النبي صلى الله عليه وسلم مع قريش	83
تآلفية الأنصار –الأوس والخزرج–	85
خاتمـــة	

خاتمة	89
مصادر ومراجع	91
فهرس المحتويات	99

ملخص:

البحث دراسة معاصرة وإشراقة جديدة يعرض ثنائية الأنا والآخر في القرآن الكريم، يحاول صاحبا البحث تقريب مفهوم التفاعل بين الأنا والآخر من خلال دراسة وتحليل آيات منتخبات من القرآن الكريم، كما يطرح جملة من التساؤلات حول العلاقات الإنسانية والاجتماعية بين من خلال هذه الثنائية ويفتح أفقا فلسفيا واسعا لكشف الأبعاد والمضامين السياقية والنسقية ومدى تحديد مفهوم الأنا والآخر من زاوية قرآنية.

الكلمات المفتاحية: الأنا، الآخر، القرآن الكريم، ثنائية، تفاعل، حوار.

Abstract:

Research a contemporary study and a new brightness presents the binary ego and the other in The Holy Quran, The authors of the research attempt to bring the concept of interaction between ego and the other by studying and analysing the verses of those elected from the Holy Quran, It also raises a number of questions about human and social relations through such bilateralism and opens a broad philosophical horizon to reveal the dimensions, contextual and coordinated contents and the extent to which the concept of ego and the other is defined from a Quranic angle.

Key words: Ego, Other, Holy Quran, Binary, Interactive, Dialogue.